الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع :

الأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث عند نيتشه

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

-إعداد الطلبة:

بابور يوسف

سلمى بوعيسي

اعضاء اللجنة :

- د. ضيف الله خوني.....رئيساً
- د. مجكدود ربيعة.....مشرفاً
- د. بورنان خيرة.....مناقشاً

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

وراء كل جهد شكر أكيد

والحمد لله والشكر الجزيل

أن سددنا ووفقنا لإنجاز هذا البحث

ولم يكن هذا الجهد إلا ثمرة تولت رعايتها الأستاذة الكريمة مجكدود ربيعة

فنتقدم إليها بجزيل الشكر وجزاها الله كل الخير

كما نتقدم بالشكر الجزيل الى جميع أساتذة قسم الفلسفة .

والشكر موصول لكل من أعاننا وساهم في إتمام هذا البحث

وخاصة مكتبة بيروت

مقدمة

مقدمة:

إن التفكير الإنساني بصفة عامة والفكر العلمي بصفة خاصة عرف جملة من التطورات منذ بدايتها حيث شهد ازدهار من مرحلة إلى أخرى، تحرر فيها من مجموعة الأفكار واكتسب في المقابل جملة من المفاهيم الجديدة، هذا بفضل إعمال العقل في شتى مجالات الحياة ولقد كان للعلم نصيب كبير من الازدهار والاهتمام منذ القديم وصولا إلى العصر الحديث أين ظهرت الحداثة العلمية ولكن ما فتئ أن ظهرت محاولات نقدية تحاول تصويب العلم وتقويض الأسس التي قام عليها ولعل من أبرز المحاولات على الاطلاق محاولة نيتشه هذا الفيلسوف الذي يمثل منعطف نوعيا في تاريخ الفلسفة بصفة عامة، والحديثة منها بصفة خاصة وتكمن نوعيتها في كون أنها لم تقدم رؤية تراكمية، بل صاغ نموذجا فلسفيا مغايرا تماما للنموذج الغربي ونظرا لهذه الأهمية فقد شهدت فلسفة نيتشه إعادة وبعث خصوصا في الفكر الفلسفي المعاصر، مما استلزم عملية مراجعة لكل الأسس التي بنيت عليها الحداثة الغربية بدءاً من جذورها اليونانية إلى تقويض مجمل طوباويات الأنوار ومشاريع الحداثة الغربية بعناوينها المختلفة، وهو ما جعل منها أرض معرفية خصبة للدراسة والتحليل.

وتبرز لنا أهمية الموضوع من عدة جوانب يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الإطلاع على التجربة النقدية النيتشوية .
- الإطلاع على التأسيس النيتشوي للعلم، وتبيان أهم الخصائص التي اتسم بها، وإظهار الأساس الذي قام عليه العلم من المنظور النيتشوي .

والموضوع الذي نختص بدراسته يساءل مسألة من بين أهم المسائل التي شغلت نيتشه من خلال نقده للحداثة، ألا وهو "الأسس الميتافيزيقية للعلم الحديث".

أما السؤال المركزي الذي يتمحور في دراستنا هذه، وبخصوصه نطرح الإشكالية التالية:

هل استطاع العلم الحديث أن يلج بالإنسانية عهد السعادة والمقدرة كما يدعي وذلك بالسيطرة على الطبيعة وخدمة الإنسان الحديث وذلك بقطع الصلة مع الموروث الميتافيزيقي؟ أم ما هو إلا تجل لعهد جديد من عهود الانحطاط والعدمية؟

إن هذه الإشكالية تتطلب قراءة مركزة للنص النيتشوي المفعم بالأحكام، فالمقاربة الاستراتيجية الملائمة لتقديم صوره عن نقده للعلم الحديث، وإذا كانت القاعدة المنهجية ترى بأن طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج، لذا سيكون المنهج التحليلي النقدي هو الأنسب لبلوغ الهدف ولمحاولة الإجابة عن الإشكالية جاء تقسيمنا لهذا البحث على النحو التالي:

مقدمة وفيها عرفنا بالموضوع وأهميته، بالإضافة الى الإشكالية والمنهج المتبع ثم الخطوات التي اقترحناها للإجابة على هذه الإشكالية، مع ذكر الصعوبات التي واجهتنا.

تناولنا في الفصل الأول الذي يحمل عنوان "منطلقات نيتشه العلمية" مجموعة من التيارات العلمية، التي كانت ذات اهتمام كبير في العلم وكانت بمثابة الدافع لإقبال نيتشه لقراءة العلوم، كما بينا إعجابه بالمنهج العلمي والفكر الحر.

أما الفصل الثاني الذي عنوناه بـ: "عدمية العلم الحديث عند نيتشه" فقد تطرقنا فيه إلى المنهج الجينيالوجي النيتشوي في جانبيه التأويلي والتقويمي، كما تم فيه الكشف عن مختلف الثغرات الميتافيزيقية التي حملها التفسير الميكانيكي وكيف أن العلم الحديث لا يزال في تبعية للدين والأخلاق.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان "في سبيل علم مرح" وخصصناه للحديث عن البديل النيتشوي للعلم الحديث حيث ركزنا على أنه تجل لإرادة القوة وذلك في التفسير والتقويم باعتبارهما معرفة وطبيعة وحياة، إذ لا يوجد تفسير للأشياء خارج هذه الدائرة.

ولإعادة الاعتبار للأرض يخرج نيتشه من دائرة اعتبار حقائق العلم على أنها أوهام ضرورية للحياة وذلك لإيجاد إمكانات جديدة للحياة واعتبار الفلسفة الجديدة هي الكفيلة في ترشيد العلم .

كما تشكل أهمية الفن كمحطة بنائية مفادها الضرورة واللعب وذلك لرؤية جديدة لتفسير الوجود، أي اتخاذ الفن المرح لقيام علم مرح كبديل للعلم الحديث بأبعاده المتيافيزيقية.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فهي من طبيعة فلسفية تتلخص أساسا في:

- قلة الدراسات التي تعرضت لإشكالية العلم الحديث وربطه بالميتافيزيقا كموضوع مستقل بالتحليل والمناقشة.
- صعوبة تتعلق بفلسفة نيتشه ذاته وذلك في لغته وفي كتابته الشذرية التي وظفها في جل مؤلفاته لذا وجدنا صعوبة في العودة إلى أم كتبه للتعرف على الوجه الأصيل لموقفه من العلم الحديث.

الفصل الأول :

منطلقات نيتشه العلمية في الفلسفة الحديثة

المباحث:

- المبحث الأول: دوافع اهتمام نيتشه بالعلم
- المبحث الثاني: قيمة العلم عند نيتشه.

تمهيد:

إن العصر الحديث شهد ثورة فكرية وعلمية كبيرة في مختلف المجالات، وذلك نتيجة التحرر العقلي، ونتج عن ذلك تطور في المنهج التجريبي، فكان الاهتمام بالعلم يتزايد يوماً بعد يوم من كل الأطراف والشرائع والتخصصات سواء كان هذا الاهتمام من باب التمجيد والإبداعوالإعجاب، أو من باب النقد والتمحيص والهدم .

ولعل من بين الذين كان لهم التأثير البالغ بالعلم والتوسع في نظرياته وتغيراته، نجد الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه[1*]Friedrich Nietzsche(1844–1900) الذي كان يمدح العلم ومناهجه المختلفة، كون هذه الفترة عرفت نقلة في التفسيرات الطبيعية ثم تحول هذا الإعجاب إلى نقد وتساءل فيه، فماهي الدوافع التي جذبت اهتمام نيتشه بالعلم؟ وفيما تتجلى قيمتها؟

*فريدريك نيتشهFriedrich Nietzsche (1844–1900) ولد في ريكن بمقاطعة زاكسن بألمانيا من عائلة دينية مما جعل نشوءه مكون بطابع ديني وكان البعض يطلق عليه بالقسيس الصغير.عند بلوغه سن الرشد تخلى عن المسيحية وتخصص في الفيلولوجيا الكلاسيكية، تحت تأثير أساتذته والذين قالوا عنه عبقري.

لقد كانت أواخر حياة نيتشه مأساوية إذ أصيب بانهيار عصبي،اعتنت به أخته حتى وافته المنية، لقد ألف نيتشه العديد من الكتب منها: مولد التراجيديا سنة 1877م، وكتاب إنسان مفرط في إنسانيته(1879) في جزأين وكتاب الفجر(1880)، وكتاب، العلم المرح (1882)، وغيرها من الكتب التي عبر فيها عن آرائه وأفكاره ونقده (أنظر : فؤاد زكريا: نيتشه، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت)، ص 17.

المبحث الأول: دوافع اهتمام نيتشه بالعلم

أ) العلم مفخرة العقل الحداثي :

تجدر الإشارةإلى أن الحداثة كمحطة ثقافية في الفكر الغربي الحديث قد تأسست على مفهوم العقل، فكان بمثابة سلطة لا تعلوها سلطة فوقها، وهذا الحكم ينطبق أساساً على القرن السابع عشر حيث جرت إعادة المراجعة الشاملة للمسلمات الكبرى في الفكر، وإعادة رسم خريطة جديدة عزلت كل ماهو أسطوري ديني وخرافي وجعلته خارج الدائرة.

وحول هذا الطرح يؤكد "عبد الرحمان بدوي" أن عبادة العقل هي الطابع الرئيسي لهذا القرن ومبادئه هي وحدها التي يجب أن يقوم عليها بناء الجماعة الإنسانية في مختلف ميادينها سواء في السياسة، أو في الأخلاق، أو في المعتقدات أو في النظرة الكونية [1]، وينطبق هذا الحكم على القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث غدى العلم أساس الوجود وذلك انطلاقاً من الذاتية الديكارتية .

كان الإيمان بالعقل والانتصار له وللمعقولية وكلما طبع الفكر الغربي هو في الحقيقة حسب ما ذهب إليه ديكارت بمثابة كشف حقيقة الوجود، كونه يقدم مبادئه كحقائق مستخلصة من الطبيعة . تؤكد شروط التطابق وأحكامه انطلاقاً من محور متعال قبلي وسابق على التجربة وهذا يعني مايلي :

1- إن العقل سيكون حسب هذا المنظور الملكة التي تحدد حركة التاريخ وتطوره من خلال إبراز سلطته على الطبيعة والعالم، فهو مؤسسالحقيقة ومنتجها في صورها المختلفة.

1-عبد الرحمان بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5 ،1975، ص 121.

2- إن سلطة العقل من شأنها أن تخضع الفكر وأشكال الممارسة ،وفي ذلك يرى "آلان توران Alain Touraine أن فكرة الحداثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة العقلنة أي عقلنة الفكر العلمي والسياسي وعقلنة الطبيعة [1].

وعلى ضوء هذا الاهتمام الذي شكل فلسفة الأنوار وفلسفة التقدم في القرن الثامن عشر، وهو الانتصار المثالي للعقل والمعقولية وذلك بإحداث قطيعة وتجاوز مع كل تلك الاعتقادات وأنماط التنظيم الاجتماعي التقليدي، خاصة القطيعة مع الفكر الديني المتمثل في سلطة الكنيسة.

فالحداثة ارتكزت على فكرة جوهرية مفادها الإعلاء من سلطة العقل وشأنه،بإخضاع كل الممارساتللفكر. فهي عملية عقلنة لأن العقل هو الذي ينعش العلم وتطبيقاته .

وهو نفسه الذي يحكم عملية تكيف الحياة الاجتماعية، مع الحاجات الفردية والجماعية، فالأساس الحداثي سعيلعقلنة جميع مظاهر الحياة .

والتحديث هو جملة من المسارات التراكمية، المشدودة الأطراف، وبناء الموارد الإنتاجية، كما يعتبر إنشاء للسلطات ونشر حقوق المشاركة السياسية، وهو الإشارة التي علمنته (أي العلم) القيم والمعايير [2].

ب/ العلم والفكر الفلسفي الحداثي:

تقترن الحداثة بمرحلة ثورية من مراحل التحكم في الطبيعة وعبر وسط بين الإنسان والطبيعة وهو التقنية، التي عدت مع التطور المتزايد للعلوم والتقنيات وهدم الأخلاق والثقافة القديمتين، ويصبح العقل بهذا الحال هو عقل ممارسة وفعل، فلفظ الحداثة ظهر

1-Touraine (Alain) : *Critique de la modernité*, paris ,Fayard,1992,p24.

2-الشابي نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة، دار المعارف للنشر والتوزيع،القيروان،(د.ط)،2005،ص ص 52-53.

مع بودلير، إلا أن الوعي بها وكل أية للعالم قد سبق لحقيقة ظهورها كلفظ فبعضهم يرجعها كرؤية للعالم في عصر الأنوار، والآخر يعود بها إلى القرن السابع عشر لما عرفهالمجال الفلسفي والمجال العلمي .

لقد أنتج هذا العصر تصور جديد للعالم، والعلم هو الخلفية الوحيدة والمرجع لكل فكر فلسفي، ومنه فكل فلسفة تهدف إلى الاقتداء بالعلم .

وذلك منذ ديكارت الذي يعتبر من أبرز وجوه الحداثة العلمية والفلسفية، إلى جانب سبينوزا الذي أسس الفلسفة العلمية .ومنهفالتفكير الفلسفي له صدى في العلم لكن كيف يعتبر العلم مرجعية لكل من ديكارت وسبينوزا وكانط ؟ باعتبار أن العلم هو الملهم الوحيد لفلسفاتهم .

1- ديكارت من أجل تأسيس العلم الرياضي :

حاولت فلسفة ديكارت René Descartes(1596-1650) بتأثير من التصور العلمي الجديد أن تقيم تصورها الفلسفي للكون انطلاقاً من المعطيات العلمية الجديدة وبتأثير من الثورة الفيزيائية الغاليلية .

لقد كان المسار الذي اتخذته فلسفته مساراً عقلانيا في كل الأبعاد ومختلف القوانين الطبيعية (الميكانيكية)، التي عبر عنها في صلب فلسفته بالنظام الرياضي ذو الطابع الحسي المتوازن الذي ينبغي تبنيه وراء كل ظاهرة، ويعيب ديكارت المفاهيم الرياضية، وكل عمل وراءه تكوين حسي، لأن الحواس لا تكفي في نظره أن تكون المعيار في العمل العلمي كونها عاجزة في الوصول إلى الدقة.

فالدقة في الفكر الرياضي عند ديكارت هي المعيار الأمثل لمختلف العلوم وهذا في قوله :((**كانت تعجبني الرياضيات على الخصوص وذلك لما في براهينها من الوثاقة**

والوضوح ولكني لم أكن ألحظ فائدتها الحقيقيةإلا في الصناعات الميكانيكية))[1]، بمعنى أنه كان يهتم بتعليم الرياضيات كما سعى إلىتطبيقها في مختلفالأعمال والميادين، ولعل من بينها وأهمها ميدان الهندسة.

كما قدم ديكارت تصور حول المادة فهي عكس الفكر لا تفكر، لكنها تحتل حيز من المكان، وهذاهو الانقلاب العلمي الجديد على الفلسفات الأولى الأرسطية في تصورها للمادة، لكن الذي يقصده ديكارت ليس ماتقدمه الحواس، بل مايقدمه لنا العقل من وضوح وتمايز إذ يقول ديكارت: **((مع أن هذه الأشياء العامة أعني الجسم والعينين والرأس واليدين وما يشابه هي أشياء خيالية، فمن الواجب أن نعترف رغم ذلك. قياساً على ماتقدم بوجود أشياء أخرى أبسط منها وأشمل هي موجودة حقاً من امتزاجها على نحو ما تخرج بعض الألوان الحقيقية، فتكون كل مايقوم لي فكرنا من صور الأشياء، سواء كانت هذه الصورة حقيقية واقعية أو مختلفة وهمية في هذه الأشياء والطبيعة الجسمية عامة وامتدادها، وأيضا شكل الأشياء الممتدة، وكذا الحيز الذي فيه أو الزمان الذي تدوم فيهومشابه))**[2]. من خلال هذا القول يعترف ديكارت بوجود أشياء أبسط وأشمل من الأشياء العامة كاليدين والرأس وما شابه ويقول أنها موجودة حقا .

إن فكرة الامتداد عند ديكارت لها أهمية كبرى لكونها الخاصية الجوهرية الوحيدة للمادة، فهي تتصف بصفات هندسية هي الحجم والشكل والعدد والموقع، وصفة ميكانيكية هي الحركة،وبهذا تصير غاية العلم هو البحث عن الأساس الرياضي الهندسي للأشياء فباكتشاف قوانين الحركة التي هي أساس كافة الحوادث والمظاهر يكون كل شيء في الطبيعة له صيغة هندسيةيقوم عليها العالم، بمعنى أن كل شيء في المجال الطبيعي

1–رونيه ديكارت: مقال في المنهج، ترجمة : محمود محمد الخضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985، ص 171.

2–رونيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات، ط4، 1988، ص 15.

له معالجة رياضية وهي مادة متحركة بحركة ميكانيكية [1]. من خلال هذا تظهر نزعة ديكارت التي ترفض العلل الغائية التي تتحكم في الظواهر، وبهذا يكون ديكارت قد بلور بطريقة فلسفية نظرة ميكانيكية اكتملت قواعدها العلمية مع نيوتن ولابلاس.

ولا تكفي تلك الانطلاقة التي قدمها من مقولته " **أنا أفكر إذن أنا موجود**" بإجراء القليل من التجارب، بل اعتمد على نوعية الأفكار المتعددة للوصول إلى المعرفة .وجمع بين الجبر والهندسة وأصبحت تعرف بالهندسة التحليلية أو الهندسة الإحداثية.التي تعد أداة قوية لاسيما حينما يرتبط هذا النوع من الهندسة بعلمي التفاضل والتكامل اللذان سرعان ما إبتكرهما، وتعود المجموعات التي يتم استخدامها لتحديد موقع نقطة في الفضاء ثنائي أو ثلاثي البعد والتي لا يزال يطلق عليها الإحداثيات الديكارتية .[2]

2-سبينوزامن أجل تأسيس علمي للأخلاق :

تعتبر فلسفة سبينوزا*Baruch Spinoza (1632-1677) فلسفة عقلية بامتياز أساسها هو الاستنباط في القضايا الفكرية المختلفة التي تخص الفكر، ومختلف قضاياه، حيث ربط سبينوزا بين المنهج الهندسي والبحث الفلسفي، وذلك كون أنه سلَّم بالأفكار الرياضية ودقتها، وصياغتها صياغة فلسفية، تحت موضوع "الأخلاق" وجعل المنهج الرياضي النموذج والمثال الأعلى في كل المعارف البشرية وفي جميع الميادين، ويمكن أن نقول أن هذه الخطوة في البحث العلمي للمجال الأخلاقي كان لها غرض في اتجاه هذه الفلسفة والمتمثل في توخي أي عمل شخصي، للبحث في الانفعالات بنفس

1-روني ديكارت : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص 72.

2- ديفيد اليارد: موسوعة الاكتشافات العلمية، ترجمة خالد العامري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 2009م، ص 84.

***باروخ سبينوزا Baruch Spinoza**(1632-1677): فيلسوف هولندي تأثر بروني ديكارت في فلسفته الثنائية له مجموعة من النظريات الفلسفية في الأخلاق واللاهوت والسياسة من أهم مؤلفاته "الأخلاق 1677"، رسالة في اللاهوت والسياسة 1670م(أنظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة، ط5، ،1982 ، ص 106).

الموضوعية التي يهتم بها عالم الهندسة في أبحاثه في مختلف النقاط والسطور والخطوط[1].

إن منهج "سبينوزا" الفلسفي بوجه عام قائم علىمجموعة من الأفكار الواضحة والمتميزة الصادقة على خلاف الأفكار الغامضة، فهي غير كافية وكاذبة، ويسير البرهان في سلسلة القضايا مع أعلى يقين وهي موجودة في الحدس، غير أن الله عند سبينوزا ليس ضامنا فحسب بصدق الأفكار الواضحة والمتميزة .

كتب "سبينوزا" كتابه "الأخلاق" Éthique بطريقة بحث في الهندسة بادئاً بالتعريفات والبديهيات والمسلمات، ومتقدماً عن طريق نظريات متتابعة، فتلك الشروح التي أصبغت منهجه هذا كانت ضمن نظريته المعرفية التي قدمها على منطلق رياضي مثل العقل والنفس، ويضع لهذه المعرفة مجموعة من الحدود كونها تكون وفق بنيات مختلفة[2].

فنظريته في المعرفة هي التي أفضته للجوء إلى تقديم التفسير الرياضي لمختلف التوجهات، منها الأخلاق ومعرفة الجوهر. فالجوهرعلى وجه الخصوص هو محور فلسفته وقد فسره في عمله الأخلاق، كما تناول على وجه العموم الميتافيزيقا والتفسير السيكولوجي والانفعالات والإرادة، وفي الأخير قدم تفسير أخلاق مؤسسة على ماتقدم من ميتافيزيقا وعلم النفس.

الأخلاق في بدايتها هي أعظم شيء تناولته فلسفة "سبينوزا" كونها تحمل صبغة علمية، وهي أكثر قيمة عنده ؛ وعلى هذا النحو تتكون لنا علاقة بين ديكارت وسبينوزا.

1- أمل مبروك: الفلسفة الحديثة: دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 2011، ص 96.

2- برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، دط، 1977م، ص 123.

مذهب سبينوزا في الميتافيزيقا هو النمط الذي افتتحه بارميندس فثمة جوهر واحد فقط(الله، أو الطبيعة) وليس ثمة شيء موجود بذاته، هنا نستنتج أن الفكر والامتداد عند سبينوزا هما من صفات الله، واللامتناهى مثلاً صفة جوهرية داخل الجوهر [1].

عرفت الأخلاق بأسلوب إقليدس بتعريفات وبديهيات ونظريات،حيث يكون داخل هذه المقدمات مجموعة من البراهين القائمة علي حجج استنباطية،وهو ما يجعل قراءتها مبهمة ومحتواها غامض، وهذا ما يلام على إقليدس في منهجه الذي كان محط انتقاد العديد من الفلاسفة، وبالرغم من هذه الانتقادات لا يمكننا أن ننفي ماجاء به هذا الأخير.

يرى التفسير الحديث أن الانفعالات تنبع من التمسك والمحافظة وحب البقاء هذا الأمر جعل سبينوزا يتخلى عن البرهنة الرياضية كونها تدخل في الانفعالات .

إن نظرة سبينوزا للإنسان كانت نظرة مميزة حيث يرى أن هذا الأخير هو عبارة عن مركب من حال امتدادي هو جسمه، وهو عبارة عن آلة مؤلفة من آلات ومن ،حال فكري هو النفس،وهي فكرة الجسم أي أن فكرة موضوعها الجسم الموجود بالفعل فهي تبدأ وتنتهي مع الجسم.والإحساس ظاهرة جسمية،أما الإدراك فهو ظاهرة فكرية‘تقوم بتصوير النفس في الإحساس وقت انفعال الجسم به؛ وعليه فالإدراك يقابل طبيعة جسمنا أولا وبالذات مع مقابلته مع الأجسام الخارجية. والقوانين الطبيعية للفكرهي قوانين التداعي أو الترابط،وهي تشبه قوانين الحركة في الامتداد وفكرة النفس عن ذاتها. كما يرى سبينوزا أنه ليس هناك قوى للنفس، حيث لا يميز بين النفس والقوىوبالتالي لا تمييز بين إرادة وعقل،ولكن الإرادة ترجع للعقل وذلك من جهة أن كل فكرة تتضمن إيجابياً بمعنى أن الإرادة هي ميل العقل مع قبول ما يروقه من العالم ورفضه مالا يروقه[2].

1-برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 23.

1-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ص 113.114.

3-كانط سليل النيوتينية:

ارتبط اسم امانويل كانط* Emmanuel Kant بالعقلانية النقدية،التي بدأت بنقد مختلف الفلسفات منها الديكارتية الفطرية حيث كانت فلسفته هي مساءلة العقل في حد ذاته، وذلك في كتابه نقد العقل الخالص Critique de la raison pure سنة 1781 . والمقصود بالنقد ليس ذلك الجانب السلبي بل الهدف منه هو البناء وإعادة التأسيس، وهذا مايتجلى في قوله :((**لا أقصد بذلك نقداً للكتب والمذاهب بل نقداً لقدرة العقل بوجه عام فيما يتعلق بكل المعارف التي يطمح إليها مستقلاً عن كل تجربة وتحديد مصادرها. ومداها وحدودها وكل ذلك وفقاً للمبادئ**))[1]، حاول كانط من خلال هذا القول أن يبين لنا أن نقده لم يكن منصبا على الكتب والمذاهب، وهو الأمر الذي اعتاد عليه الكثيرون، وأن نقده مميز وفريد من نوعه لأنه استهدف العقل وقدرته فيما يتعلق بكل المعارف التي يطمح إليها بعيدا عن التجربة . وهو ما يعني محدودية العقل وضعف الميتافيزيقا التي تسعى إلى معرفة الحقيقة.

قام كانط بتقسيم العقل إلى عقل نظري وعقل عملي، بحث في العقل العملي وبينه من خلال الممارسة الفكرية ليعرف حدوده في مجال الميتافيزيقا،بالرغم من هذا نجد داخل الكيان العلمي فعالية في تعامله مع الأشياء،فهو لا يستطيع النفاذ إلى ماهيتها، وهو ما يعرف بالنومان Noumene. وعلى هذا التوجه تكتشف ثورة كانط الكوبرنيكية في حقل المعرفة، التي تأثر فيها بنيوتن Isaac **Newton** (**1642م-1727**).وجه التأثر كان في مجال العلم بصفة عامة وفي المجال الفيزيائي بصفة خاصة[2].

---

*- ايمانويل كانط Emmanuel Kant(1724-1804):ألماني له مجموعة من المؤلفات حول نظريته في المعرفة منها : نقد العقل الخالص، ونقد العقل العملي(أنظر: يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 208) .

1-نقلاً عن: زروخي الشريف: العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر: قراءة في مشروع ناصيف نصار، دار مكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2013، ص 52.

2-المرجع نفسه، ص 53.

إن التفسير الكانطي هو المعبر عن الاكتمال الفلسفي داخل النسق النيوتيني هذا الأمر يؤكده إعجاب كانط ب نيوتن في كتابه نقد العقل الخالص،لما حاول تقديم قراءة داخل النسق العلمي النيوتيني، وفي الوقت نفسه أعلن فشل الميتافيزيقا وبحث عن أساس جديد لها في العلم المعاصر، وغدت الفيزياء النيوتينية بالنسبة لكانط هي الفيزياء الوحيدة الممكنة في العمل الفكري العلمي، من خلال هذا التأثير بنيوتن والدفاع عن المنطلقات النيوتينية يعطي كانط تصور للزمان والمكان[1].

لقد وافق كانط نيوتن في القول أن المكان مطلق، لكن لم يوافقه في القول أن الزمان والمكان لهما وجود واقعي مستقلين عنالإنسانوالأشياء،حيث يرى أن الزمان والمكان مصدرهما إنساني، ينبعان من القدرة الحسية من جانبها القولي فهما ذاتيتان وليس من خلق العقل، لهما وجود موضوعي خارج عن الذات. ويحدد كانط وجهين للزمان و المكان، أولا أنهما صورتان قبليتان للحدوس التجريبية، وهما كذلك حدسان قبليان[2].

أثارت فلسفة كانط الفزيائية السؤال حول إذا ما كانت المعرفة تتأسس على الخبرة على نحو يميز بين المعرفة التجريبية والمعرفة القبلية، وبين القضايا التحليلية والقضايا التي ليست تحليلية أي تركيبية، فالفيزياء أخذت وصف قبلية إلبجانب، الزمان والمكان، وقانون السببية، ومفهوم الجوهر، و لقد حاولأن يفهم قانون حفظ المادة والفعل ورد الفعل بل وحتى قانون الجاذبية. لم يكن لأي أحد من الفيزيائيين الاستعداد لمتابعته، فيما ذهب إليه،واستخدام مصطلح–قبلي– بالمعنى الذي أعطاه إياه كانط حيث اعتبر الهندسة الإقليدية قبلية في العمل الرياضي .

1–فيرنر هايزنبرغ: الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، ترجمة خاله قطب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014م، ص 88

2– محمود زيدان: كانط وفلسفته النظرية، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1979، ص ص 80–81.

والجدير بالذكر في فلسفة كانط أن الأشياء لها وجود فعلي، والذي تخلخل الفلسفة أو النزعة التجريبية في نفسه،إلا أن هذا الأخير لم ينتهج نسق الزعماء التجريبيين، أمثال باركلي، وديفيد هيوم ،على الرغم من أنهاحتفظ بمفهوم "الشيء في ذاته" باعتباره مفهوماً مختلفاً عن المدرك الحسي،هذه الطريقة جعلت ثمة نوعاً من الارتباط بالواقعية[1] .

سعى كانط للجوء للانطباعات الحسية من خلال نظريته في المعرفة، وأن يخلص الفلسفة من هذا الشك ويجعلها تقوم على أساس آمن كالعلوم الطبيعية **(ميكانيكيا نيوتن خاصة)**، الذي اعتبر أن المبادئالأساسية التي يقوم عليها العلم الطبيعي هي المبادئ ذاتها التي يجب أن تؤطر المقولات والتصورات، والبنيات، هذا في الحقل الترندستالي، وفي مختلف المبادئ التي ذكرناها سالفاً مثل الزمان والمكان والسببية ومبدأ عدم التناقض، مثلاً في السببية لكل حادثسبب، ولكل حادث زمان ومكان معين،على هذه المعادلة بين الزمان والمكان والسبب تقوم المعرفة.

جـ/ العلم في عصر نيتشه:

يصف نيتشه عصره وهو القرن التاسع عشر على أنه أكثر القرون حيوانية وبهيمية وواقعية وشعبية وهو بالذات أحسنها وأعظمها شرفاً واخلاصاً وصراحة وأشدها إذعاناً للواقعوأقربها إلى الحقيقة [2].

ولكن رغم ذلك فإن فلسفته بمثابة مرآة عاكسة لملامح القرن الرابع عشر، وما شهدته أوربا عامة من انجازات. وبالخصوص الجو الفكري السائد في ألمانيا آنذاك فكانت صلته بالقرن الذي عاش فيه كصلة الابن العاق لأبيه، يرث ملامحه الرئيسية وخصائصه ويأخذ منه ما فيه من قوى ودوافع.

1–فيرنر هاينزيج: الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، مرجع سابق، ص 90.

2–عبد الرحمان بدوي: نيتشه، مرجع سابق، ص 121.

يتجلى هذا التأثير بعصره في المرحلة الثانية من فكره "المرحلة الوضعية" حيث اهتم بالعلوم وأعجب بمنهجها النقدي وتفكيرها الملهم للعلم ومنهجه – فماهو الجو الفكري السائد في عصر نيتشه حتى يستحسن المنهج العلمي ويتأثر به في صياغة آراءه وأفكاره خاصة في المرحلة الثانية من فكره؟

1-النظرية الوضعية :

تهتم الفلسفة الوضعية بدراسة مختلف الظواهر خاصة الظاهرة الاجتماعية، كما تدل على طريقة منسجمة للتفكير يمكن تطبيقها على كل المواضيع التي يتعامل معها الذهن الإنساني، ويشير كونت بأن مهمة الفلسفة الوضعية هي أن تقوم بوظيفة التنظيم في النظام المعرفي، وأن نقطة انطلاق هذا المسار قد أعطيت له بواسطة مراعات العلاقات الواقعية بين الظاهرات، حيث لاتدخل الافتراضات في أي وقت على الواقع أو على الذهن في ذاته وفي المقابل تحاول دراسة كيف يدخل الواحد الآخر في علاقة ما وكيف يتم وضع النظام في علاقته، أو بالأحرى كيف يتم تنظيمها ؟[1].

وارتبط لفظ الوضعية بـ اسم الفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت"* **Conte. Auguste** ، لكنه استخدم فيما بعد للدلالة على طائفة من المفكرين الذين وقعوا تحت تأثير التقدم المذهل الحاصل في المنطق والرياضيات هذا التأثير كان له الكثير من الايجابيات من بينها محاولة هؤلاء المفكرين أن يوحدوا بين أسس المنطق والرياضيات،

1-بيار ماشيري: كونت الفلسفة والعلوم، تر: د/ سامي أدهم، الموسوعة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1944، ص ص 12-13.

*-أوغست كونت **Auguste Conte**(1798-1857) فرنسي مؤسس علم الاجتماع والفلسفة الوضعية له محاضرات في الفلسفة الوضعية، نظام في السياسة الوضعية (بيار ما شيري، كونت الفلسفة والعلوم ، مرجع سابق ، ص18).

جاعلين من هذا التوحيد دعامة أساسية وقوية يقوم عليها التحليل الفلسفي ليقضي على المشاكل الميتافيزيقية من جذورها[1].

تشترك الوضعية المنطقية مع وضعية أوغست كونت في أنهاتستلهم العلم في كل مراحله وتتأثر بتقدمه محاولة اصطناع مناهج وتعميمها على التفكير الفلسفي ذاته .

و تأثر"نيتشه" بالتقدم العلمي كان واضحا وجليا والدليل على ذلك أن إحدى مراحل تفكيره الفلسفي سميت بالفترة الوضعية، حيث أعجب أشد الإعجاب بالمنهج التجريبي في مراحل تفكيره خاصة المرحلة الوسطى منها، والمرحلة المتأخرة حين حاول أن يصنع لفكرة العود الأبدي أساساً علمياً على الرغم من أصلها الصوفي[2].

كما قرر أيضا أن يخصص فترة من عمره في دراسة العلم الطبيعي والرياضيّ حتى يتسنى له تبرير الفكرة تبريراً علمياً، لكن الظروف الصحية لم تسعفه على ذلك. وكان إعجابه الشديد بالمنهج التجريبي دليل على تأثره الكبير بالمنهج العلمي، حيث يقول في كتابه" العلم المرح":((**إنني لأعجب بذلك الشك الذي يجعلني أجيب عنه بقولي: فلنجرب ذلك، ولست أريد أن أسمع لشيء عن كل الأمور والمشاكل التي لا تسمح بإجراء التجربة عليها. تلك هي حدود المعنى الحقيقية في نظري وهنا تفقد الشجاعة كل مبرر لها**))[3]، يؤكد نيتشه من خلال هذا القول أنه معجب بالشك الذي يجعله يجيب عنه من خلال التجربة، هذا الإعجاب كان لدرجة إبعاده كل الأمور والمشاكل التي لاتسمح بإجراء التجربة .

1- فؤاد زكريا: نيتشه، مرجع سابق، ص 40.

2-المرجع نفسه، ص 40.

3- المرجع نفسه، ص ص 40-41.

2-النظرية التطورية :

تشارلز داروين* Charles Darwin هو أول من اصطلح اسم النظرية التي انتسبت إليه، والمسماة بالنظرية التطورية أو الداروينية، ، ويشير المعنى الواسع لهذه النظرية بذلك المركب الجامع بين الأفكار الفلسفية واللاهوتية والاجتماعية والعلمية التي شرحتها هذه النظرية، وهي النظرة المفسرة للعلم ولايتحدد أي موقف من إيديولوجية دينية أو فلسفية أو غيرها والطبيعة هي السيدة في العمل التطوري منها ينشأ النبات والحيوان والإنسان،ومن العبث أن يكون تفسيرنا خارج عن العامل الطبيعي أوإلى اللجوء نحو الميتافيزيقا[1]. بمعنى أن هذه النظرية تحصر كل أفكارها داخل الطبيعة التي لها ملايين السنين في تطورها، ويكون لمختلف هذه الكائنات الممتازة أبعاد مختلفة .

يركز داروين في نظريته التطورية على عامل آخر هو فكرة الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، وأن الطبيعة تقوم أثناء عملية التطور بدور المربي حيث تقوم بانتقاء الأفضل والأصلح في السلالات وإتلاف السلالات التي لا تثبت أفضليتها وصلاحيتها بعد الصراع بين الأفراد، التي تتمتع بالاختلافات أو الصفات المفيدة التي تمكنها من التكيف مع البيئة أكثر من غيرها. أما التي تنقصها الصفات الملائمة للحياة تتعرض للهلاك وبالتالي تخرج من السباق أي سباق الوجود وعبر داروين عن هذه العملية بمصطلح البقاء للأصلح [2].

* **تشارلز داروين Charles Darwin(1809-1882)**: هو عالم بيولوجي فرنسي يعتبر من مؤسسي نظرية التطور، وعالم في التاريخ الطبيعي، له مجموعة من المؤلفات منها"أصل الأنواع" تسلسل الإنسان 1871(أنظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص 351).

1- صلاح عثمان: الداروينية والإنسان، نظرية التطور من العلم إلى العولمة، دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، 2001، ص ص 33-35

2- المرجع نفسه، ص 40.

لقد لقيت النظرية الداروينية (التطورية) جدل كبير وواسع في الفكر الحداثي بين متقبل لها وبين معارض، حيث نجد نيتشه من بين المعارضين لهذه النظرية، لكن هذه المعارضة لاتمنع نقاط تقاطع بينهما ، من هذه النقاط تأكيد كل منهما على فكرة الصراع مع فكرة الاختلاف في مختلف المجالات، وتشديدهما ضرورة العلم واستبعاد كل أمر ميتافيزيقي، من بين النقاط التي اختلفا فيها هي معارضة نيتشه النظرية التطورية وداروين خاصة في فكرة البقاء للأصلح، يرى نيتشه أن هذا البقاء هو ببساطة من أجل الوجود والحياة فقط.لذا يستبعد هذه الفكرة ويعارضها ففي نظره الصراع يجب أن يكون من اجل القوة والعظمة.كما يعارض نيتشه داروين في القول أن ما ينبغي أن نسعى إليه هو زيادة كيف البشر أي نوعية البشر المتفوقين والممتازين وليس كمية البشر [1] .

من الأمور المختلف فيها أيضاً بينهما، القول بأن القبيلة المؤلفة من كثرة الأعضاء الذين هم مستعدين دائماً لمساعدة بعضهم البعض والتضحية بأنفسهم من أجل الصالح العام، هذه القبيلة ستنتصر في نظر داروين على معظم القبائل الأخرى مما يولد انتخابا طبيعياً، أما نيتشه فيقلب الفكر تماماً ويرى بأن القبيلة يجب أن تضحي بنفسها لو أن ذلك كان ضرورياً للمعارضة على فرد واحد متفوق عظيم [2].

1- لورانس جيم: أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2004،ص 66.
2-المرجع نفسه، ص 67.

المبحث الثاني : قيمة العلم عند نيتشه

1-من ميتافيزيقا الفنان إلى الفكر الناقد :

إن الفترة الثانية من فكر نيتشه مثلها على وجه الخصوص كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته"* وكتاب الفجر** والعلم المرح ***.

إذ أغلب دارسي فلسفة نيتشه ينعتون هذه المرحلة بـ" المرحلة الوضعية" أو المرحلة النقدية[1]، والمقصود بالنظرة العلمية النقدية أنها تعتمد على الفحص التاريخي والسيكولوجية الهدامة للأشياء، بدأ فيها نيتشه بحملة نقدية قوية على المثل الكبرى، فحمل على الميتافيزيقا التقليدية ونقد الأخلاق الشائعة والدين، كما أنه تأثر بالاتجاهات العلمية السائدة في عصره، وهكذا بدأ الأسلوب العقلي الهادئ الذي تميزت به كتاباته في هذه المرحلة، واتخاذه للمنهج العلمي مثلا أعلى .

تأتي هذه المرحلة لكي تعوض المرحلة الرومانسية أو مرحلة ميتافيزيقا الفنان علي حد تعبير جياني فاتيموGianni vattimo، حيث تأثر فيها نيتشه بكل من شوبنهاور وفاجنر.

---

*-ظهر كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته" في جزأين : صدر الأول عام 1876م، والثاني عام 1879م، ويحتوي على كم هائل من التحليلات النفسية المتعلقة بمشكلة السلوك الإنساني، ويعتبر نقطة تحول جذرية، أنهت ما يصطلح عليه عند المؤرخين بالمرحلة الرومانسية عند نيتشه.

**-كتاب "الفجر" 1880م شن فيه نيتشه هجوماً على الأخلاق التقليدية

***- كتاب العلم المرح1882، تدور موضوعات الكتاب حول فكرة القوة المسيطرة على نيتشه، وقد تطرق لأول مرة لفكرة العود الأبدي .

1-يذهب العديد من المشتغلين بفلسفة نيتشه إلى استخدام لفظة المرحلة الوضعية من بينهم نجد :

-فؤاد زكريا في كتابه"نيتشه"

-أو يغن فنك في كتابه "فلسفة نيتشه

-Tarmo Kunas ,Nietzchel'esprit de contradiction

-Gianni Vattimo, introduction a Nietzsche

إذ انشغل بالفن واعتبره أداة لبناء حضارة وانتصار للروح الديونيزوسية التي تراجعت منذ سقراط Socrat(469–399 ق.م) .لكن سرعان ما تحول هذا التأثر والإعجاب إلي الرفض والثورة علي المشروع الفاجنري لتأليهه للفن، ورفض صنع ميتافيزيقا شوبنهاور وفاجنر، هكذا انصرف عنهما، إذ ودع بطلي شبابه اللذين كانا فيما مضى موضع تكريمه وحماسته الحارة،والوحيدين اللذين استطاعا أن يلهما نيتشه ويفتحا له أفقا واسعا للتفكير تجلى أساسا في كتاب مولد التراجيديا الذي سمح لنيتشه بالظهور من وراء قناعي الفيلسوف والفنان،ليدرك نفسه بوصفه الشخص الآتي من غير زمانه[1].

لكن نيتشه الذي لا يثق إلا في نفسه ،لا يفتأإلاأن ينقلب عليهما بوصفهما نمطين ارتكاسيين، يعبران معا عن عدمية خجولة تعتقد في ديمومة وهوية القيم،وكأن له مهمة رئيسية هي إبراز هذا الرفض في "إنسان مفرط في إنسانيته"، ليكشف كافة ألاعيب المثالية واستبهامات الفكر الارتكاسي .

ويضيف بأنه "الشاهد على الأزمة" ويقول عنه: **((إنه الكتاب الذي مكنني من تطهير نفسي من كل شيء مغترب عن طبيعتي، أن المثالية غريبة عليً، وعنوان الكتاب يتضمن حيث ترون الأشياء مثالية أرى الأشياء إنسانية ....ويا للأسى إنسانية جداً))**[2].

ليتخلص نيتشه من شوائب ميتافيزيقا كل من شوبنهاور وفاجنر ظهرت المرحلة الوضعية باهتمامه بقراءة الكتب العلمية، ودراسته المستجدات العلمية لعصره، حسب "جياني فاتيمو" إن فترة (1873م–1874) كان نيتشه يقصد عدة مرات المكتبة لاستعارة كتب في الفلسفة الطبيعية للبوسكوفيتس Bouscovitche ، وكذا كتاب تاريخ الكيمياء لـ

1–جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1933، ص 8.

2–فريديريك نيتشه: هذا الانسان، ترجمة علي مصباح، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص 107.

كوب kopp، وكتاب النظرية العامة في الحركة والقوة لفريدريك موهلرf.mohler[1]. كما تأثر بالفيزيائي ج.ر. ماير(1878-1814) في نظريته في حفظ الطاقة .

كما تم العثور في مكتبة نيتشه إثر وفاته علي خمسين مؤلفا متعلقا بالعلوم الفيزيائية بالإضافة إلي مؤلفات في فلسفة الطبيعة ككتاب ل ترافرانوس terviranus حول الظواهر، إلى جانب ذلك كانت هنالك مؤلفات في نظريات المعرفة وعلم النفس،وقد تأكد هذا الاهتمام في عام 1882،حيث اتخذ نيتشه قرارا بتخصيص عدد من السنوات للتعمق في دراسة العلوم الطبيعية، باعتبار أن الإلمام بها ضروري لبناء فلسفة المستقبل ولهذا يعبر نيتشه عن استيائه لعدم دراسة العلوم الطبيعية من خلال رسالة كتبها لصديقه إرفينرولدrohd في 16جانفي 1868يقول فيها ((...**ففي الأسبوع الماضي أردت أن أكتب إليك عرض،وهو أن نقصد لدراسة الكيمياء، ونترك الفيلولوجيا*** ...**بين أيدي أسلافنا ...فحياتي أكثر ثقلا))**[2].

وفي 15جويلية 1868 كتب نيتشه مرة أخري لصديقه "إرفين رولد" ليعبر عن شغفه الشديد وإرادته الحثيثة أن بصبح طالب علوم إذ يقول : ((...في هذا الخريف سأقصد جامعة فييناvienne لأبدأ سنواتي كطالب فالأولون فاتهم الأمر لانشغالهم الكبير

1 -Gianni Vattimo,Introduction à Nietzsche, trad,fabienne zanusi, Paris ,de beoket carsser,1991,p40.

*-**الفيلولوجيا philologie**:وهي المرحلة الثانية والاساسية في دراسة اللغة بعد النحو والمنطق وكلمةPhillogi فقه اللغة يصعب ترجمتها إلى العربية فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد دراسة قواعد الصرف والنحو والنقد والنصوص الادبية ومنهم من يرى أنها ليست دراسة اللغة فقط بل هي البحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها(أنظر: الزواوي باغورة، الفلسفة واللغة (نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،ط1، 2005، ص 130).

2-Charl Murin , Nietzsche, Problème généalogie d'une pensé , les preses, De l'Université, de Montereal,1979, p 231.

بالفيلولوجيا فقه اللغة فهذه المرة أنا من يرسم لهذه الرسالة من خلال هدفي الذي هو حياتي المستقبلية))[1].

اهتم نيتشه إذن في هذه المرحلة اهتماما كبيراً بتحصيل العلوم، ففي كتابه "هذا الإنسان" يقول:**((كم أضعت من الوقت من قبل، كيف ضاع وجودي كله بلا طائل كفقيه في اللغة إزاء مهمة حياتي ...فقد كانت دراستي تماماً في مجال الفيزيولوجيا والطب والعلم والطبيعي))**[2]، لذا ازداد نيتشه اهتماماً بوليام تومسون w. thomson ورو ورولف، كما نعثر في مؤلفاته على أسماء لعلماء مثل سبنسرspencer(1820م-1903م)، وداروينdarwin وكلود برنارد Claude Bernard(1813م-1878م)، واوغست كونت Auguste conte .

كما يتأكد إطلاع نيتشه على علوم عصره في الجهاز المفاهيمي المستعمل وفي جملة الاستعارات التي يعتمدها في كتاباته ومن أهمها، الاستعارات الفيزيولوجية والبيولوجية والطبيعية، واستعارة الجسد استعارة الهضم والمرض والصحة ،وهي كلها من أجل إحداث الفارق الضامن لنجاح خطوة الابتعادعن تطابق الذات.

فهكذا إذن جاءت المرحلة الوضعية من خلال موضوعاتها واهتمامه –حسب أويغن فنك- انقلابا على الأولى، فبينما كان ينظر إلى الموقف العلمي فيما سبق بمنظار الفن، أصبح ينظر الآنإلى الفن بمنظار العلم[3]. إذ يقول في كتابه "هذا الإنسان" في فصل تحت عنوان " محاولة للنقد الذاتي": **((لقد كان العلم يبدوا لأول مرة على أنه إشكالية ومثير للإشكالية غير أنه نتاج حماسي وشكوكي في الشباب...لقد بني على تجارب شخصية**

1-Charl Murin , Nietzsche, Problème généalogie d'une pensé, opcit, p252.

2- فريدريك نيتشه ، هذا الانسان ، مصدر سابق، ص110.

3-أويغن فنك : فلسفة نيتشه، ترجمة إلياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد، دمشق، د.ط، 1974،ص 55.

غير ناضجة مفككة وقد نظر إليه من منظور الفن...إنه كتاب للفنانين مليء بالمصطلحات السيكولوجية وأسرار الفنانين مع وجود ميتافيزيقا في الخلفية))[1].

هكذا اتخذ نيتشه من العلم ومن منهجه أداة لنقد الأخلاق السائدة والميتافيزيقا التقليدية، لذا جسدت المرحلة الثانية إعجابه بالعلم أولا، لدقة المنهج العلمي، ثانياً، أن العلم كفكر حر وكأداة لنقد كل من المثل الكبرى.

2- إعجاب نيتشه بالمنهج العلمي:

إن إطلاع نيتشه على العلوم الحديثة وسعيه إلى تحصيلها، إنما هو نتيجة اهتمامه بالعلم باعتباره جزء من الحضارة .

وما يعنيه بعبارة العلم إنما هو العلوم الطبيعية، تلك التي توصف بالموضوعية، كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والرياضيات، ومايجمع بين هذه العلوم هو مفهوم القيس، إذ يقول:((**لقد غدت معرفتنا علمية عندما أصبحت قادرة على استعمال العدد والقياس))**[2]، والغاية منه السيطرة على الطبيعة، ومحاولة خلق لغة رمزية مشتركة بالنسبة إلى كل الظواهر، وهي لغة تسمح بالحساب، وبالتالي السيطرة على قوة الطبيعية. لايتم هذا إلا بدقة المنهج العلمي الذي يعتبره نيتشه أهم من نتائج العلم إذ يقول في كتابه "إنسان مفرط في إنسانيته ":((**المنهجيات العلمية هي نتيجة للبحث لها من الأهمية على الأقل قدر ما لأية نتيجة أخرى،لأن العقلية العلمية ترتكز على ذكاء المنهجية، ولن يمكن لنتائج العلم كلها، لو افتقدت هذه المنهجيات، أن تمنع عودة الخرافة والبحث في السيادة مرة أخرى))**[3].ما يحاول نيتشه توضيحه من خلال هذا القول أن أساس العقلية العلمية هو

1-فريدريك نيتشه: هذا الإنسان، مصدر سابق، ص 111

2-نقلاً عن : الشابى نور الدين، نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 237.

3-فريدريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2002، ص243

ارتكازها على ذكاء المنهجية،وفي حالة غياب هذه الأخيرة في نتائج العلم، سيكون من المستحيل علينا أن نمنع عودة الخرافة .

إن المنهج العلمي هو الذي يمنح نتائج العلم معناها، لأن هذا الأخير يفتح آفاق جديدة كما يسعى لبلوغ أعلى مراتب المعرفة يقول نيتشه:((**إن سعادة كبيرة وعميقة تكمن في أن العلم يكتشف أشياء تصمد أمام التجربة ولا تكف أن تتيح الفرصة لاكتشافات جديدة**))[1]. بمعنى أن أكبر سعادة يمنحها لنا العلم هي أولا، عندما يصمد أمام التجربة وثانيا،عندما يفتح لنا الطريق أمام اكتشافات جديدة ،مما يجعل معارفنا متعددة ومتنوعة، ليس لها حدود ولا تقف عند مجال معين .

إن الهدف من العلم هو النقد حسب نيتشه من خلال منهجه إذ يتخذه وسيلة للتشكيك بالدين والميتافيزيقا والأخلاق ولا يبرز طابع الإشكال .فالعلم لا يعني اكتشاف قطاع من الواقع، بل يعنيإقامة البرهان على أن هذه المواقف الإنسانية تتسم بطابع الوهم ونيتشه على حد تعبير "أويغن فنك" ليس عالما ولا باحثاً، لأن العالم أو الباحث إذ لم يتعاط الفلسفة فإنما يعيش في التطبيق العلمي، لكن نيتشه استخدم طرائق علمية في سبيل تهديم المثل الكبرى[2]، فالروح الوضعية بالنسبة إليه مجرد وسيلة للتحرر من الوهم وسيكولوجية تمزق الأقنعة، لذا فالمنهج العلمي عنده يتأسس على النظرة النقدية، وطريقته في النقد كما بينها–أويغن فنك– تتمثل فيما يلي :

أولاً: الجرأة، بمعنى أن الإنسان يجب عليه أن يعلم ويتعلم بأن الحياة تعني الجرأة. والحياة لا تصبح ممكنة إلا بوصفها تجريباً، ويقصد بالجرأة تلك الجرأة الفكرية الكبيرة، التي يجب أن يتحلى بها الفرد ليعرف ذاته وحياته وكل ما يحيط به.

1–فريدريك نيتشه: العلم المرح، تر: حسان بورقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1993،ص80

2–أويغن فنك: فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص 59.

ثانياً: تحديد الهدف والطريق، بمعنى أن نيتشه يرى أنه يجب على الإنسان أن يحدد طريقة عمله، وأن يحدد أهدافه من تلقاء ذاته، أي أن مجموعة الأهداف يجب أن تكون نابعة من ذات الفرد وليست مفروضة عليه .

ثالثاً: الاتجاه نحو اللانهائي بمعنى أن نيتشه يرى أن الإنسان يجب أن يجاوز ذاته[1].

سعى الإنسان للتخلص من الخوارق والتفسيرات الميتافيزيقية التي كانت بمثابة حجرة تعثر طريقه للوصول إلى الحقيقة وبلوغ أعلى مراتب المعرفة يقول نيتشه:((..**فقد ازدهر الطب هو الآخر لمجرد ما كف الإيمان العلاجات الخارقة...**))[2]، يضرب لنا نيتشه في هذا القول مثال عن علم الطب الذي عرف ازدهارا وتطورا لأنه تخلص من قيود التفسيرات الخرافية التي كانت تتحكم فيه .فالعلم يزيح كل معرفة مطلقة، والتي تعد نقيض حقيقي للعصبية فتصبح المعرفة نسبية، قابلة للتشكيك والنقد.

والاستفادة لاتكون من نتائج العلم وإنما من منهج العلم ذاته، إذ يقول نيتشه:((**...إن قيمة الممارسة لعلم دقيق لبعض الوقت لا تكمن بالضبط في نتائجه، لأن هذه الأخيرة لاتشكل سوى قطرة متناهية في الصغر من بحر ماهو جدير بأن يعرف، لكننا نفيد منها فائضاً من الطاقة من المنطقالاستنتاجي من الصلابة في المجهود المستمر لقد تعلمنا أن نبلغ الهدف بوسائل تناسب هذا الهدف**))[3].يؤكد نيتشه من خلال هذا القول أن قيمة العلم لاتكمن في نتائجه لأن نتائج العلم في تجدد مستمر وهي كما شبهها بمثابة قطرة من البحر، أي أن نتائجه ليست مضبوطة وثابتة،ويرى أن ما يمكننا استفادته من هذه النتائج هو منهجها ومنطقها الاستدلالي واستخدامه كوسيلة لبلوغ أهدافنا.

1-أويغن فنك : فلسفة نيتشه، مرجع سابق ص 59.

2-فريديريك نيتشه : إنسان مفرط في انسانيته،ج1، مصدر سابق، ص 136.

3-المصدر نفسه، ص 137.

كما أن اشتغال المرء بالمنهج العلمي-حسب نيتشه- ينضج فكره ويجنبه التسرع في الحكم ووهم الحقيقة المطلقة، إذ ينبغي على الفكر العلمي أن ينضح لدى الإنسان تدريجياً فضيلة الامتناع الحذر والاعتدال الحكيم، ومن هنا قوض المنهج العلمي فكرة امتلاك الحقيقة بنقده للخوارق والإطلاق، كما كان هدف الروح النقدية فإن النتيجة واحدة، وأن ثمة مايميز الفكر العلمي عن الفكر السائد، كالتحرر من الأفكار الجاهزة وتجاوز القناعات المتداولة، لذا يشبه نيتشه العلماء بالخلدان، إذ يقول :((**يكتفي العمال العلماء أن يحفرواحفرهم في صمت حفر الخلدان**))[1].

حاول نيتشه توظيف المنهج العلمي والاستفادة منه، ولم يكن مقتصراً على منهج واحد بل عدة مناهج، باعتبار أنه :((**ما من منهجية علمية تكتفي لوحدها كي تمكننا من بلوغ المعرفة**))[2]، لذلك نجده استخدم الجينيالوجيا[*]، وعلم الأعراض، وعلم الوراثة،والفيزيولوجيا، من أجل البحث عن القوى والإرادة التي أنتجت أوهام الميتافيزيقا والدين والأخلاق،

نستخلص إذن أن المنهج العلمي يتأسس على الملاحظة والتحليل والشك، ذلك هو منهج العلم، وهو في تقدير نيتشه فكر حر يتنافى مع الفكر المستعبد، لكن ما الفكر الحر إذا ماقورن بالفكر المستعبد؟ وما وظيفته كخاصية أساسية للعلم؟.

1-فريدريك نيتشه: غسق الأوثان، تر: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 45.

2-المصدر نفسه، ص 243.

*-**الجينيالوجيا**: اشتقت كلمة جينالوجيا Génalogie من اللفظة اليونانية Gênas و التي تشير إلى الأصل أماLogie فهي كلمة مشتقة من Logos و الذي يعني العلم، و يقابلها في اللغة الألمانية مصطلح Herknunft والذي يعني المصدر أي السبب و الانحدار من زمرة دم أو عرق تنخرط فيه طائفة من مستوى رفيع أو وضيع(أنظر: جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، إفريقيا الشرق المغرب 2003، ص 29).

3-الفكر الحر كسيكولوجية هدامة:

يعرف "نيتشه" الفكر الحر في كتابه "إنسان مفرط في إنسانيته" إذ يقول:((**نسمي مفكراً حر ذاك الذي يفكر بطريقة مخالفة لما كنا ننتظره منه، بسبب أصله وسطه، حالته، ووظيفته، أو بسبب الآراء السائدة في عصره، هو الاستثناء، أما المفكرون المستعبدون هم القاعدة**))[1]. بمعنىأن المفكر الحر له طريقة تخالف كل ماهو مألوف

كما يؤكد نيتشه في تعريفه هذا للفكر الحر أن الفكر المستعبد هو الخاضع إلي سلطة "ماهو سائد والعادة، إذ يقول:((**لا يبنى العقل المستعبد اختياره على هذا السبب أو ذاك، بل يختار بفعل العادة يختار أن يكون مسيحياً مثلاً، لكن ليس لأنه تفحص مختلف الديانات واختار من بينها أن يكون انجليزياً، لكن ليس لأنه انحازإلى جانب إنجلترا، لا لقد وجد المسيحية وانجلترا قريبتين منه فتبناهما، مثلما يصير من ولد في بلد الكروم شارباً للخمر**))[2]، أي أن الفكر المستعبد يضل حبيس فكر العادة، ولا تكون له الحرية في اختيار الفكر بفعل القناعة بل يبقى محكوم على فكره إتباع ماهو سائد ومألوف، وعليه فالفكر الحر هو ثورة على السائد والمألوف، على حد تعبير -أويغن فنك- هو الريبي الكبير الذي يحاذر من كل ماكان موضع ثقة لدى الإنسان فنظرته تنفذ إلى الخلفيات الحيوية في جميع "المثل العليا" وتطلق ضياءها في أعماق القديس والحقيقة والخير وتبرز أشياء غريبة [3].

إن موقف نيتشه العدائي واضح حيال ثنائية العالم المثالية "خرافة العالم الآخر" يعرف نيتشه الميتافيزيقا في كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته" حيث يقول:((**يمكننا أن نصفها بأنها العلم الذي يبحث في أخطاء الإنسان الأساسية، لكن باعتبارها حقائق**

1-فريدريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 182.

2- المصدر نفسه، ص 128.

3-اويغن فنك: فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص 61.

أساسية))[1]، فالميتافيزيقا في نظره عالم أحلام يصنعه الإنسان ويبحث فيه عن أخطائه، وهي أكذوبة حيوية يستخدمها لإشباع رضاه وليغطي إحساسه بعدم المسؤولية، وليكسب وجوده معنى، يقول نيتشه: **((إن النعمة المزدوجة التي يرى أنه مدين بها للميتافيزيقا هي الإحساس بعدم المسؤولية ورؤية أن للأشياء أهمية في ذات الوقت، ولا شك أنه سيشعر لاحقاً بشيء من الريبة اتجاه كل أنساق التفسير الميتافيزيقي....وأن التفسيرات المادية والتاريخية تثير إحساسنا بعدم المسؤولية لا يقل حدة عن إحساسه هو))**[2].يؤكد نيتشه من جديد علي أن الميتافيزيقا نعمة مزدوجة فهي من جهة تكسبنا إحساسا بعدم المسؤولية، ومن جهة أخري أن للأشياءأهمية. كما يبين لنا أننا سنشعر مع الوقت بريبية التفسير الميتافيزيقي لأنه مثل التفسير المادي والتاريخي يثير فينا إحساسا بعدم المسؤولية .

ويرى نيتشه أن الميتافيزيقا أداة صنعت لتفسير الذات الوهمية ولتخدم رومانتيكية الشاب الذي يقدر التفسيرات لأنها تزين له حتى جوانب الحياة المزعجة:**((يجل الشاب التفسيرات الميتافيزيقية لأنها تكشف له فيض من المعنى في الأشياء التي كان يجدها منفرة أو مزدراة، وإن كان لديه إحساس بعدم الرضي على النفس فإنه سيخف حين يتخفف من لغز العالم وبؤسه العميق من خلال مايشعر به في قرارات نفسه))**[3].من هنا كانت الميتافيزيقا وسيلة خيرة وإيجابية تخدم رومانتيكية الشاب وتمنحه ارتياحا وطمأنينة من بؤس العالم وجوانب الحياة المزعجة .

قام نيتشه بتقديم انتقادات لاذعة للأخلاق في مواقف عديدة ،يرى أنها تجارب تراكمت حول المفيد والضار، ثم ظهرت لنا في ملامح المقدس، وهي مشتقة من غريزة

1-فريدريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 29.

2- المصدر نفسه، ص 27.

3- المصدر نفسه، ص 26.

القسوة وتصعيد لها[1]. وتعتبر الأخلاق أيضا نظرية تقييمات لمجموعة من القيم الأخلاقية، تشكل هذه الأخيرة رموز لغرائز ووظائف الجسد فالأخلاق هي تعبير عن نمط حياة كل فرد، كما أنها تشكل تقييم العالم الذي يقوم على تراتبية المنافع، يقول نيتشه:((**إن تراتبية المنافع التي تم قبولها نهائياً حسب الدرجات العليا أو الدنيا لدى أنانية تريد هذا أو ذاك هي التي تقرر الآن الصفات الأخلاقية أو اللاأخلاقية**))[2] .بمعنى أنا الصفات الأخلاقية محكومة بالمنافع والمصالح فهي وحدها التي تقرر أن هذه الصفة هي أخلاقية أو لا أخلاقية .

ينقد نيتشه الأخلاق النظرية ويرى أنه لا فائدة منها، كونها ليست عملية، أي أنها تصرفات وظاهرات غير قابلة للتحقق الفعلي العملي، وبالتالي لاتعد سلوكات وظاهرات نافعة. هذا ما يؤكده في قوله:((**إن الحكم على فعل ما بأنه أخلاقي أولا لا أخلاقي يتم بعد أن يكون هذا الفعل قد تم القيام به فعلاً**)).أيأن الحكم علي الفعل الأخلاقي يجب أن يكون بعد التأكد من القيام بالفعل .

ويرى نيتشه أن الطموح بديل للحس الأخلاقي بمعنى أن الناس الذين يفقدون الطموح في حال فقدانهم للحس الأخلاقي يصبحون أوغاد وهذا مايصرح به في قوله:((**لا شك أن الحس الأخلاقي لاينقص أولئك الذين لاطموح لهم، الطموحون يتخلصون هم كذلك من المآزق بدون الحس الأخلاقي، وبنفس النجاح تقريباً- لذلك فإن أبناء العائلات المتوسطة التي لاتعرف مامعنى الطموح، غالباً ما يصيرون، بتدرج سريع، إذ مافقدوا حسهم الأخلاقي أوغادا خالصين**))[3].يؤكد نيتشه وجهة نظره في هذا القول بإعطاء مثال وهو أبناء العائلات المتوسطة الذين يصبحون أوغاد عندما يفقدون حسهم الأخلاقي، وحالتهم هذه ترجع إلى غياب معنى فكرة الطموح في معرفتهم

1-أويغن فنك: فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص ص23،24.

2- فريدريك نيتشه:إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص44.

3- فريدريك نيتشه:إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 57.

كما نقد الدين بصفة عامة والديانة المسيحية بصفة خاصة، حيث يصرح بقوله:((**لو أن المسيحية كانت على حق فيما تقوله عن الإله المنتقم، عن الخطيئة العامة، عن الاصطفاء بالمنة، وعن خطر العذاب الخالد، لكان من علامات الغباوة وسوء الطبع أن لا يجعل المسيحي من نفسه راهباً...سيكون من الحمق أن يهمل المنافع الأبدية من أجل الرفاهية المؤقتة))**[1]،يشكك نيتشه في هذا القول، بشكل قوي ومباشر في الديانة المسيحية وفي كل تعاليمها عن الإله والخطيئة والعذاب الخالد ويريأنها لو كانت علي حق لما جعل المسيحي من نفسه راهبا،ويضيف:((**إذا افترضنا أن الإيمان موجود فأن المسيحي العادي يقوم بدور تافه إنه إنسان لا يعرف العد حتى الثلاثة، وهو فضلاً عن ذلك،بسبب غباوته لا يستحق أن يعاقب عقاباً صارماً مثل الذي تتوعد به المسيحية))**[2].

بمعنى أن نيتشه يرى أن المسيحية في تعاليمها هي مجرد تخويف للإنسان والسيطرة عليه، لأنه لوكانت على حق لكان الإنسان المسيحي أكثر إيماناً وتشبثا بها، ولو وجدنا كل الناس رهباناً، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك، وأن هذا الإيمان الذي تنادي به المسيحية مجرد خدعة للسيطرة على العقل.

ويرى نيتشه أن المسيحية هي من صنع الضعفاء الذين لا يتقنون أي عمل مهما كان هذا العمل ويتخذون من المسيحية أو الدين سلاحاً يغطون به هذا النقص والعجز وهو مايؤكده في قوله:((**هناك أناس متزنون وبارعون في التجارة يحملون دينهم مطرزاً كشريطة حاشية الإنسانية المتفوقة: حسنايفعل هؤلاءبحفاظهم على دينهم وذلك لأنه يجملهم.-كل الناس الذين لا يتقنون عملامن أعمال الحرب بما في ذلك حرب الكلمة والقلم ينتهون بأن يصيروا عبيداً))**[3]،بمعنى أن هناك أناس يتخذون من الدين تجارة وهؤلاء في نظر نيتشه فاشلون لا يتقنون أي عمل سواء كان من أعمال الحرب أو حتى

1- المصدر نفسه، ص 81.

2-المصدر نفسه ، ص 81.

3- فريدريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 80.

من حرب الكلمة، وهم بهذا العمل حكموا على أنفسهم بأن يصيروا عبيدا، ويضيف نيتشه بقوله: **((هؤلاء تكون الديانة المسيحية مفيدة لهم كثيرا لأن العبودية تأخذ فيها مظاهر فضيلة مسيحية، الشيء الذي يكسبها جمالا رائعاً. الناس الذين تبدو لهم حياتهم اليومية الفارغة ورتيبة يتحولونإلى الدين بسهولة))**[1]، بمعنى أن الديانة المسيحية مفيدة ونافعة للناس الذين كانت حياتهم اليومية فارغة، هذا الفراغ يجعلهم يتحولون إلى الدين لملىء ذلك الفراغ .

ومنه فقد كشف نيتشه تزييف الوهم الذي يفسر جميع نزعات الإنسان باتجاه فوق الإنساني.

1- المصدر نفسه، ص ص80-81.

الفصل الثاني :

عدمية العلم الحديث عند نيتشه

المباحث:

- المنهج الجينيالوجي عند نيتشه.
- العلم والإرادة المنحطة .
- الأعراض الميتافيزيقية للعلم الحديث بالمنظور النيتشوي .

تمهيد:

إذا كان للعلم من قيمة فذلك عائد إلى نتائجه ومناهجه، وهذه القيمة ليست مطلقة، ولا ينبغي أن يخفى التحليل السابق في نظر"نيتشه" الوضعية الحقيقية للعلم الحديث، فما قيمته إلا وعود ميتة

لا يزال العلم عاجز عن الشموخ برأسه، وفضلا عن ذلك فإن النهضة التي أتى بها تشبه ربيعا أتى قبل الأوان لم يلبث أن أحرقته الثلوج، إنها علوم مريضة تساهم في أفول الغرب وفي خدمته، هذا ما يوضحه "نيتشه" في المقال الثالث من كتاب "أصل الأخلاق وفصلها" حيث يقول: **((منذ كوبرنيكوس يبدو أن الإنسان قد وصل إلى منحدر هابط إنه يمضي أبدا ويتوغل بعيدا عن نقطة الانطلاق، إلى أين تراه يمضي؟ نحو العدم؟ نحو الشعور الممض بعدمه؟ وإذن فهذا هو الطريق القويم نحو المثال القديم))**[1]، ويضيف: **((كل العلوم لا فقط علم الفلك الذي أدى تأثيره المخزي والمخجل إلى انتزاع هذا التصريح المهم من كنط إنه يعدم أهميتي، كل العلوم بما فيها الطبيعية المضاد للطبيعة تعمل اليوم على تدمير احترام الإنسان القديم بذاته))**[2].

ينتهي نيتشه من تشخيص العلم الحديث، في شكله الميتافيزيقي والديني والأخلاقي فالصورة التي يكونها، إنها إذن أعراض ميتافيزيقية وأخلاقية ودينية لم تتخلص على حد تعبيره منها كليا، ولا من تفسيرها الميكانيكي للعالم الذي يقوم على نفي الحياة واستبداله بالميتافيزيقا ولكن بوجه آخر.

1- فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط2، 1984، ص 149.

2- المصدر نفسه، ص 149.

المبحث الأول: المنهج الجينيالوجي عند نيتشه

أَكّد نيتشه فشل المشروع التنويري الذي رفعه كانط في ثلاثيته النقدية، وأصبح أن النقد بالمفهوم الكانطي، ليس دليل نضج بل دليل تواطئ وموارية وقع فيها كانط الذي أصبح شغيلا للفلسفة.

من هنا ذهب نيتشه إلى ضرورة وأد المفهوم الكانطي للفلسفة واستبداله بمفهوم أعمق وسؤال أخطر هو السؤال الجينيالوجي يقول في كتابه ما وراء الخير والشر((**لقد آن الأوان أخيرا لنستبدل السؤال الكانطي كيف للأحكام التأليفية القبلية أن تكون ممكنة؟ بسؤال آخر لماذا يكون الإيمان بمثل هذه الأحكام ضروريا؟**))[1].

وتعني الجينيالوجيا لغة دراسة النشأة والتكوين لإثبات النسب والوقوف على الأصل[2]، كما تعني النسابة Genelogie قيمة الأصل وأصل القيم في الوقت ذاته وهي تتعارض مع الطابع المطلق للقيم، كما مع طابعها النسبي أو النفعي والنسابة هي العنصر التفاضلي للقيم، الذي تنبع من قيمتها بالذات وتعني النسابة إذا الأصل[3].

بناء على ذلك سيكون المعنى المباشر والحرفي للجينيالوجيا الميتافيزيقا والفكر بشكل عام دراسة نشأته والقيام بعرض تاريخي للوقوف عند الأصل.

كما ستصبح "جينالوجي العلم" دراسة نشأة وكيفية تكون مفاهيمه والوقوف عند أصلها، إن الجينيالوجي ليست مسعى معرفياً لتفسير الماضي وذلك رغم توظيفها المنهج

1 –فريديريك نيتشه: ما وراء الخير والشر، تر: موسى وهبة، دار الفارابي بيروت، ب ط، د ت، ص 33.

2 –عبد السلام بنعبد العالي: ميتافيزيقا العلم والإيديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1993، ص 161.

3 –جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 7.

التاريخي، بل عملية استشكال الحاضر، وهو حضور ثقيل وكثيف إلى درجة يصبح الحاضر في وجوده مجرد وهم[1].

هذه الميزة التي هي إصغاء للتاريخ بدل الثقة في الميتافيزيقا سيدرك الفيلسوف والجينيالوجي من خلالها أن وراء الأشياء دوما شيئا آخر، كما تتميز الجينيالوجيا باعتبارها كتابة لتاريخ الأفكار الأخلاقية والميتافيزيقية والدينية قراءة شكاكة وسيئة الظن، قراءة تعرية وفضح لتفاجئ الأصل الذي ينصب عليه، وإدخالها الشك فيما تعتقده الميتافيزيقا ثبات وسكون

وتتخذ حسب نيتشه عملية تقويم القيم المشروع الأساسي للنقد الجينيالوجي إذ يقضي بضرورة إحداث قلب جذر لنوعية السؤال الذي طرح من قبل في الفكر الغربي وهذا السؤال صاغ على نمطين اثنين:

* **الصيغة الجدلية:** التي تضرب جذورها في تاريخ اليونان (سقراط وأفلاطون) حيث التمييز بين الحقيقة والظاهر والوجود والصيرورة
* **الصيغة القبلية المتعالية:** والمرتبطة بفلسفة كانط، وهما صيغتان متكاملتان تتغذيان من جذر مشترك هو الجذر الميتافيزيقي[2].

يبنى النقد والجينيالوجي في نظر نيتشه على التأويل والتقويم:

1-النقد بما هو تأويل:

يحتل التأويل مكانة متميزة في فلسفة نيتشه الذي يعتبره أساس التفكير وآلية القراءة وقد تعرض لتحول جذري مس كل من دلالته والأرضية التي ينطلق منها، أي من ثنائية

1-محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 95.
2-المرجع نفسه، ص 97.

الحقيقة والخطأ التي يقاس بهما الخطاب وهما قيمتان تتصفان بالمطلقية، وعليه كان هدف النقد النيتشوي دحض كل عقل يزعم المعرفة الشاملة والمطلقة.

التأويل الديني كان مزيج بين النصوص الدينية من جهة والتأويل من جهة أخرى، لم يخرج هذا التأويل عن طابعه الديني وكان هدفه الوحيد الحفاظ على قداسة النص.

أما التأويل الفلسفي فكان ملزما بقطع علاقته مع التصور الميتافيزيقي للحقيقة والذي نشأ حسب ما ذكره محمد أندلسي من الفلسفة الأفلاطونية وقسمتها الأنطولوجية، والفلسفة الأرسطية ومنطقها للهوية، الفلسفة السكولائية ولاهوتها، والفلسفة الحديثة ومعقوليتها، كل هذه الفلسفات كانت حواجز أمام الحقيقة وأمام انبثاق العلم في صيغته التأويلية[1].

قام نيتشه بالكشف عن المفارقة التي أقامتها الفلسفة بالحقيقة وذلك عندما قامت بإضفاء طابع أخلاقي عليها وهو ما جعل هذه الأخيرة بمنأى عن المساءلة والنقد

يخضع التأويل في الفلسفة النيتشوية بمجموعة من الشروط وهي:

أ- العالم بمثابة نص:

بمعنى أن العالم يشكل نصا أصليا قابلا لعدة تأويلات، فالنص واحد كما يشير نيتشه، وهو يسمح بتأويلات عدة، ولا يوجد تأويل صحيح[2]، وهذا التصور يجعل من العالم موضوعا وليس شيئا في ذاته، ما يؤكد هذا التصور قول "جان غرانييه": **((يستند نشاط التأويل إذن إلى نص لا يكون نابعا من الذات ولكنه عالم واقعي بالفعل))**[3]، وعليه كان لزاما أن يرتبط التأويل بالعالم الواقعي وأن هذا العالم قابل للتأويل، ومنه فالعالم، الذي كنا

1- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 148.

2-جان غرانييه: نيتشه، تر: علي بوملحم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 72.

3-المرجع نفسه، ص71.

نعتبره ميتافيزيقياً هو حقا العالم الواقعي الموجود فعلا، أما العالم الذي كنا نعتبره العالم الحق هو وهم وخطأ.

إن الصيغة الوحيدة للعالم هي الصيغة التأويلية لأن النص لا يملك حضورا إلا في التأويل ذاته[1]، والعالم كنص لا عمق ولا علو له، والذي يظهر على أنه عالم متعارض مع السطح بما هو عالم الوهم، ويجعل نيتشه من السطح أساس تفكيره ووجوده وهو في نظره أداة إيجابية نرجع بها للشيء المفقود أصالته[2].

إن اعتبار العالم بمثابة نص يجعله ينفرد بمجموعة من الخصائص وهي:

* **التأكيد على الطابع الفوضوي والسديمي للعالم:** يحرر هذا الطابع التفكير من التصورات التقليدية، والتصور الغائي اللاهوتي ومن التصور العلمي الميكانيكي الغاليلي علاوة على هذا يقوم السديم بحماية العالم من خطر إرجاع الوجود المتكثر الذي يشكله العالم إلى مبدأ أول أو دفع الوجود المتغير للعالم باتجاه غاية نهائية، وبتأكيد السديم الصيرورة الأبدية للعالم يصبح شرطا انطولوجيا لإمكان التأويل.
* **إثبات صفة صيرورة العالم:** يقوم العالم بهدم ذاته ويبنيها، كما تعيش الذات في هذا العالم تعدد المنظورات والتأويلات وتكون فاقدة لأدوات المعرفة التقليدية.
* **اعتبار العالم لا متناهيا:**فاللاتناهي هو صفة للعالم بما هو نص الوجود، من جهة إمكان تأويله كعالم، تقتضي هذه الفكرة إبطال مفهوم الحقيقة والعقل المطلق[3].

ب- **العالم هو مجموع الظواهر التي يتجلى من خلالها:** أساس الحقيقة الجينيالوجية التأويلية هو السطح، والعالم كتأويلات متعددة هو عبارة عن علاقات من الإرادة

1-جان غرانييه: نيتشه، مرجع سابق، ص 71.

2-محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 15.

3-المرجع نفسه، ص 151.

تقوم بتأويلها من منطلق الحياة والقوى، فالتأويل نظام تحدثه الإرادة في قراءتها لذلك العالم وعن علاقة التأويل بالمنظورية هي علاقة قوية فتعددية التأويل تستجيب لتعددية المنظور، ومحاولة توحيد المنظورات والتأويلات في منظور أو تأويل واحد سيجعل منها تعبير عن قوى ارتكاسية، فالمنظور حسب نيتشه تمنع الشمولية التي تعمل على انتصار التأويل الواحد[1].

* **وظائف التأويل وآلياته:**

أولا: تنظيم فوضى العالم وتشكليها بفرض نظام على السديم الأصلي، ويشكل هنا التأويل نص العالم بواسطة المقولات

ثانيا: تغذية الصراع وتفعيله بين المنظورات المختلفة كمراكز تأويل ينطق كل واحد منها بلسان إرادة قوة معينة.

ثالثا: خلق وإبداع القيم بشكل حر وأصيل، بمعنى أن التأويل يقوم بخلق قيم جديدة فالنص لا يقدم لنا المعنى جاهزا[2].

تمثل هذه الوظائف أساس تشكيل كل من العالم، والإنسانالحر، والقيم الجديد، التي تكون مسبوقة بعملية قلب لجميع القيم لأن من يريد الخلق والإبداع في الخير أو في الشر لا بد أن يبدأ أولا بالإفناء وإهدار القيم[3].

تستخدم "الجينيالوجيا" "الفيلولوجيا" كآلية تأويلية مضادة للتأويل الأحادي الذي يقوم بتحريف نص العالم، تقوم هذه الأخيرة بعملية قراءة تكون بطيئة للنصوص تفكك من خلالها لغة الخطاب بهدف كشف الأقنعة والأوهام التي تقوم عليها هذه الخطابات،

1- جان غرانييه: نيتشه، مرجع سابق، ص 73.

2- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 153..

3- عبد الرحمن: بدوي نيتشه، مرجع سابق، ص 161.

والفيلولوجيا في قراءتها للأخلاق لا تتعامل مع الخطاب بكيفية حرة لأنه يكون خال من المعنى.

قام الفكر البشري بإبداع الكثير من التسميات التي تقوم على الكذب ويميز نيتشه بين نوعين من الكذب:

- كذب الفنان وهو فعال وقوي، والكذب المقدس وهو الضعيف والنموذج الارتكاسي.
- تكون لغة القوى في فرض التسمية على الأشياء أما لغة الضعيف فهي اللغة الأخلاقية وهي سلبية[1].

قام التحليل الفيلولوجي للّغة الأخلاقية بالكشف عن تزييفها للواقع وتظليلها للذات وللآخر فهي تعتبر خطاباً كاذباً أو كما يسميها نيتشه "الخطاب المنحط"، ويعتبر الجسد وإرادة القوة لغة الجينيالوجيا، ولم يكتفي نيتشه بنقد التسمية الزائفة وكشف أقنعتها، ففي نظره التأويل هنا يكون محدود لأنه يكتفي بفضح الفخاخ اللغوية لكنه عاجز عن إبداع قيم جديدة وهو ما أدى إلى تجاوز الفيزيولوجيا إلى التأويل كآلية لتشخيص الأعراض وذلك بالرجوع إلى التراجيديا وإلى لغة زرادشت بما هي لغة للواقع، ومنه كان نقد نيتشه للنصوص ذو خطاب مزدوج.

من جهة أزال الأقنعة الكاذبة واللغة الصورية، ومن جهة أخرى قام بتشخيصها كأعراض بإرجاعها إلى الجسد، وهكذا انتقل من نقد اللغة أو تأويلها إلى تأويل وتقويم علاقتها بالجسد[2].

1- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص ص 153-154.

2-المرجع نفسه، ص 157.

2-النقد بما هو تقويم:

التيبولوجيا هي أسلوب جديد حل محل التقويم التقليدي الذي كان في الأخلاق والميتافيزيقا، وهي نوع من النمذجة تقوم على ترتيب وتصنيف القوى في نماذج وهي تميز بين نوعين:

* **النموذج الارتكاسي:** هو توليف بين قوى ارتكاسية وإرادة عدمية تتغلب الارتكاسية على العدمية عندما يكتسح اللاوعي ساحة الوعي.
* **النموذج الفاعل:** توليف إرادي حر بين القوى الفاعلة والإرادة التوكيدية[1].

تشكل التيبولوجيا نظرية في اللاشعور لا يجوز تأويلها سيكولوجيا لأنها تركيب لمعطيات سيكولوجية تاريخية اجتماعية وهي أسلوب جديد ينقد الأخلاق والميتافيزيقا، وهي تدعو لتقويم الأمور بمعزل عن الخير والشر ينتقد نيتشه هذه الفكرة على أساس من النسبية فما نسميه نحن خير قد يكون شر بالنسبة لغيرنا حتى الأحكام التي نصدرها حول الظاهرة الواحدة كثير ما تتغير ومنه تصبح فكرتي الخير والشر فكرة واهمة لا مدلول لها كما أن لهما مضمون محدد وهو يختلف باختلاف النظم الأخلاقية، ضف على ذلك المحتويات فيهما تكون متباينة[2].

وهدف نيتشه ليس تجاوز خير أو شر معين أو الاستقلال عن مضمونها بل عن مبدأ التقويم، فبدلا من تقويم، الأمور من زاويتي الخير والشر نستبدلهما بوسيلة أخرى هي "الحياة"أو "الجسد" يوضح نيتشه هذا الرأي بالمنهج العلمي في رده الكيف للكم، فتقويمنا للأمور من خلال قيمتي الخير والشر شبيه بنظرتنا إلى الأشياء من جهة الكيف لهذا وجب أن ننظر إليها: **((من خلال مدى تحقيقها للحياة بحيث يحل محل الخير ذلك الفعل**

1- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 158.

2- فؤاد زكريا:نيتشه، مرجع سابق، ص 98.

الذي يُعلي من الحياة ويزيدها ثراء، ومحل ذلك الشر الفعل الذي ينكر الحياة ويزيدها هزالا))[1].

هذه النظرة قريبة من النظرة الكمية في العلم، ومنه تأكد المقاربة السابقة من منهج العلم في رده الكيف إلى الكم ورد الأخلاق إلى مبدأ الحياة على أن نيتشه كما يقول فؤاد زكريا قدم حلا علمياً للمشكلة الأخلاقية[2]، وهي من المشاكل الكبرى التي واجهته.

النتيجة التي يتم الوصول إليها من النقد السابق هو أن نيتشه استبدل الحالة الأخلاقية بكلمة تحقيق الحياة التي أصبحت معيار التقويم، الذي حل محل الخير والشر؛ والتيبولوجيا النيتشوية هدفت لوجود إنسان جديد أو "الإنسان الأرقى" الذي يجسد المثل الأخلاقي الأعلى عند نيتشه، فيعلو على الخير والشر معا ويصبح خالقا للقيم ولمعتقدات العصر بأكملها، وإذا كانت الأخلاق التقليدية تعادي الحياة فإن الخروج عليها هو السبيل إلى تحقيق أعظم قوة إنسانية[3]، كما أن المثل الأخلاقي عند نيتشه في سعي دائم إلى المزيد من الحيوية في كل شيء[4].

تعتبر أيضا فكرة إرادة القوة دعوة لإحلال تحقيق الحياة محل الأخلاقية، ولا بد هنا من أن نستبعد الصورة السلبية التي روجت لفكرة القوة بما هي وسيلة عسكرية لأنها في نظر نيتشه ما هي إلا تعبير آخر عن مبدأ تحقق الحياة وملائمتها، كما تتمتع بمرونة وقابلية للتشكل، وهو ما يجعل منها بديلا صالحا للروح الأّخلاقية تعتبر:((**أيضا أخلاق**

1–فؤاد زكريا: نيتشه، مرجع سابق، ص 100.

2–المرجع نفسه، ص 104.

3– صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه: دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999، ص460.

4– فؤاد زكريا:نيتشه، المرجع سابق ص 102.

القوة أداة تستخدمها الحياة كي تعلو وتنمو، ويصبح المقياس الموضوعي للقيمة هو القوة التي تعلو بقيمة الحياة))[1].

تسعى التيبولوجيا إلى قلب الطوبولوجيا التقليدية التي كانت تقوم على التقويم، وإحلال طوبولوجيا جديدة تمكن من انعتاق الإنسان من أسر النماذج الممكنة.

1–صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه: مرجع سابق، ص 461.

المبحث الثاني: العلم والإرادة المنحطة

يرى نيتشه، أن العلم تجل حقيقي لإرادة القوة والسؤال المطروح هنا هو أي إرادة؟ هل هي إرادة الأقوياء الإرادة المثبتة والقوى الفاعلة؟ أم إرادة الضعفاء؟ الإرادة النافية والقوى الارتكاسية؟

يجيب نيتشه عن هذا التساؤل من خلال نقده للعلماء الذين كانوا أناسا أقوياء فعالين، ترفعوا عن ارتكاسية قوى العبيد، فسقطوا في ارتكاسية أخرى فأدرك المرض غرائزهم وقواهم وأصبحوا في القرن التاسع عشر شكلا من أشكال نفي الحياة فتبنوا المذهب نفسه والغايات ذاتها، هكذا انهارت سلالة الأقوياء، فأصبح العبيد والأسياد في ميزان واحد[1].

إن ظهور رجل العلم في الحقيقة، علامة هبوط من مستوى الحياة ولكنه أيضا علامة كسب القوى رغم أنها علامة أدركها الانحطاط ولكنها ترغب في القوة، بحيث أن ما يسمى علما اليوم هو تعبير دقيق عن الانحطاط الذي كان قد أصاب الفلسفة والأخلاق والدين من قبل، فجلي إذن أن العلم الحديث كان تجليا لإرادة القوة النافية إرادة الضعفاء التي أدركها الانحلال فتبحث عن سبل البقاء لكن من يحافظ عليه هو العبد، ما يعني أن العلم وإن كان يبحث عن سبل ضمان البقاء فإنه لا يحافظ إلى على نوع من الحياة، وهي الحياة المنحطة تلك التي تكون مجال التجارب العامة والوضعية فهاجس العلم هو الحفاظ على بقاءالإنسان العادي[2]، وهو ما يجمع العلماء والعبيد في غرائز واحدة ألا وهي التجمع، حيث يقول نيتشه: ((**هدف العلم المعاصر هو تخفيف الألم أشد ما يمكن وإطالة العمر أكثر ما يمكن وهو ما يعني نوع من الهناء الخالي المتواضع جدا مقارنة**

1- الشابي نور الدين: نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 253.

2-المرجع نفسه، ص 153..

مع وعود الدين))[1]، من خلال هذا يتبين لنا أن غاية العلم هي سعادة الإنسان وتحقيق رفاهيته من خلال توفير كل السبل والوسائل التي من شأنها المحافظة على بقاءه أطول فترة ممكنة وهو ينعم بصحة جيدة، وسكينه وطمأنينة وراحة نفسية بعيدة عن القلق والخوف، وهذه الغاية هي بمثابة وعد قطعه العلم الحديث للإنسان مثل الوعد الذي قطعه الدين ويرى نيتشه أن وعد العلم متواضع أمام وعد الدين.

انصبّ اهتمام العلم في ارتكازه على مفهوم إنساني كوني هو الإنسان العادي فأصول تأويلاته للظواهر كانت تجلي للإرادة المنحطة، وهو معنى يُعمِّقه نيتشه عندما يشير إلى التداخل بين العلمي والاجتماعي فمفهوم القانون العلمي الذي تخضع له كل الظواهر بنفس الكيفية إنما هو امتداد للقانون الاجتماعي ولفكرة المساواة الاجتماعية.

وهكذا تصبح الحقيقة العلمية خير للجميع أي للسيد والعبد، أما ذلك الأصل الذي تشع منه الحقيقة أي الجسد بغرائزه فإنه حسب نيتشه خفي يمثل الشكل الحقيقي للانحطاط، فمن قبل كان كل من الدين والميتافيزيقا هما اللذان يقومان بهذه الوظيفة لكن بتراجع القيم التقليدية إثر ظهور الثورات العلمية أخذ العلم مكانة هذه القيمة.

فبموت الإله ظهر إله جديد (العلم) أخذ مكان الإله القديم الذي كان أقل إطلاقا وصلابة لكنهما من نوع واحد، فالعلم حل محل الدينوالميتافيزيقا[2]، لأن الإرادة النافية والقوى الارتكاسية في خدمة الغرائز المنحطة وفي خدمة المجتمع والدولة.

كل هذه لا يعترف به العلم هو لا يتحدث سوى عن الحقيقة وينسى أصوله الميتافيزيقية والأخلاقية والدينية، حيث يقول نيتشه: ((**إن الحقائق الأساسية، في كل العلوم تقريبا لم يعثر عليها، إلا حديثا جدا أو مزال البحث عليها جاريا هذه لحظة مكانة أكثر من تلك التي لن يتلقى فيها للباحث وقد تمّ اكتشاف الأساس كلّه سوى لُقاطة**

1- فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 83

2- الشابي نور الدين، نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 254.

نافعة من الخريفوهذا إحساس قد يصير مؤلفا الدنيا في بعض المواضيع التاريخية))[1]، بمعنى أن الحقائق التي ينشدها العلم ويبحث عنها، ما هي إلا مجرد تفاهة وأوهام وكاذبة لأن مجموعة هذه الحقائق التي ما فتئ العلم يتغنى باكتشافها هي في حقيقة الأمر لم تكتشف إلا حديثا جدا أو أنها ما زالت قيد البحث والتحري والتقصي وبالتالي ما تزال غامضة مما يدل على عبثية الحقيقة وأهميتها.

لنقُل إذن إن العلم ما هو إلا نتاج لإرادة قوة تؤول العالم بما من شأنه أن يساعد على بقاء الأقل صلابة والأكثر ضعفا، كانت هذه الإرادة المنحطة وما تقوله عن العالم لا يكون إلا عدميا، وهكذا يلخص نيتشه خصائص العلم الحديث بصفة عامة في عبارة "إنكار الحياة"

إلى جانب ذلك فالعلم عاجز عن إبداع قيم جديدة، فقيم العدم التي توجهه اليوم هي نفسها القيم التقليدية، ولقد غيرت فقط من هيأتها، إن ظلال الإله تسكنه من الداخل، ومن هنا سنكتشف المنزلة المنحطة للعلم الحديث، الذي تتكيف فيها أشكال العدمية، الميتافيزيقية منها والدينية والأخلاقية، إذ يقول نيتشه: ((**فالعلم ما زال بعيدا عن الاستقلالية التي تمكنه من الاضطلاع بهذه المهمة إنه بحاجة هو نفسه إلى قيمة مثلى، إلى قدرة مبدعة للمثل يقوم على خدمتها وتمنحه الإيمان بذاته إذ أنه بذاته لا يخلق اية قيمة))**[2]، أي أن العلم لم يتحرر من أصوله الميتافيزيقية بعد، وبالتالي لم ينل استقلاليته التي تخول له إبداع قيم جديدة لأنه هو في حد ذاته بحاجة إلى قيمة يتمكن من خلالها فك قيوده من السلطة الميتافيزيقية المتغلغلة فيه، فإبداع القيم لا يكون إلا لمن له سلطة على نفسهأولا، وعلى الآخرين، والعلم الحديث لا يملك هذه السلطة.

1-فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 194.

2- فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 147.

قامت الحداثة على إثبات المعقول في مقابل تنكر الجسد والحس والغريزة، ويري نيتشه أن التقدم الذي شهدته العلوم الحديثة والتكنولوجيا والذي كان هدفه تحقيق سعادة الإنسان غير أنه انحرف عن مساره وحول حياة الإنسان إلى مأساة وآلام وسلبه كل أفراحه، وفي المنظور النيتشوي: **((إن نشاط العلم شبيه بنشاط العنكبوت الذي يحبك خيوطه ليصطاد فريسته ويمتص دمها))**[1]، يتضح من قول نيتشه هذا أن العلم يشبه العنكبوت فهو يتوق إلى العدم ويقوم بنسج قوانينه التي هي بمثابة خيوط ويلقيها على فريسته أي في الحياة.

يتخذ نيتشه موقف سالباً حول الذين يباعدون بين الحياة والعلم ويبين ذلك في قوله: **((إننا لا نرى شيئا من الأشياء التي تتيح لنا أن نكون أعظم شأنا إننا نستشعر بأن كل شيء، يسير نحو الانحطاط وأن الإنسان اليوم يصيبنا بالكلل وما العدمية إن لم تكن كناية عن هذا الكلل نفسه؟))**[2].

إن نظرة نيتشه للعدمية التي ترى فيها قوة نافية وارتكاسية، وأنها الشيء الذي أدى إلى الانحطاط العلمي وتدهور الحضارة الغربية وانكسار الحياة فلم يعد الناس يؤمنون بشيء ولا يجدون قيمة في شؤون الحياة والوجود، فكان التشاؤم وإنكار الحياة هما الطابع الغالب على تفكيرهم ونظرتهم.

فعدمية الإنسان الأوروبي الحديث تجلت مع انتصار قيم الضعفاء وأفول قيم السادة الأقوياء.

وهذه العدمية الناتجة عن القوى الارتكاسية لها مظاهر تتجلى فيها إرادة القوة المنحطة والمولِّدة للانحطاط، من بين أبرز هذه التجليات نجد طغيان الجانب اللاشعوري، على الجانب الواعي للإنسان بحيث يصبح هذا الأخير يقوم بجملة من الأفعال دون أن

1- نقلا عن الشابي نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 255.

2-فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 39.

يعيها وذلك ناجم عن ضعف الإرادة أما التجلي الثاني في هذه القوى الارتكاسية يتمثل في تبديل مركز الآثار الحسية الخارجية بالآثار الذاكرية، بمعنى أن الإنسان يصبح متعلقا بذاكرته وماضيه ونافيا بذلك احتكاكه بعالمه الخارجي وبحاضره.

ومن بين المظاهر التي تُلاحظ على القوى الارتكاسية هي تعطيل النسيان وتفعيل الذاكرة، أي أن الإنسان يصبح عالقا في مجال الذكريات ولا يتجاوزها بقوة النسيان وبالتالي يكون الإنسان قد نفى ملكة جوهرية فيه ألا وهي النسيان[1].

ولعل أهم تجل للقوى الارتكاسية يتمثل في سيطرة رد الفعل أي رد ناتج عن إرادة القوة المنحطة لأنها تعتبر هي بمثابة ردة فعل وبالتالي فهي ليست أصيلة إنما ابتدعها الضعفاء لحماية أنفسهم من الأقوياء بحكم امتلاكهم للفعل النابع من إرادة القوة الفاعلة وإرادة القوة القوية.

إن هذه المظاهر التي اتسم بها نموذج الارتكاسية يعبر عن حالة مرضية تصيب الحياة، وذلك عندما ترهق غرائزها ويلحق بها الوهن والنتيجة التي تصدر عن هذا النموذج الارتكاسي تتمثل في تبخيس الحياة، وقتل لغرائز الجسد ورغباته من خلال كبتها، وطغيان التعلق بالأوهام الذي يتنكر في قناع قيم عليا، مفارقة للحياة، مصبوغة بصبغة زهدية[2].

1-محمد أندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 158.

2-المرجع نفسه، ص 158.

المبحث الثالث: الأعراض الميتافيزيقية للعلم الحديث بالمنظور النيتشوي:

أ- العلم الحديث والميتافيزيقا:

من المعروف أن العلم الحديث قد شهد تحولا عميقا في جميع المجالات العلمية التي ظهرت في مختلف الأنساق، وكان هذا الأخير يدعى أن الأسس التي كان يقيم عليها صرحه العلمي ذات بِنيةٍ علمية، وهذا ما جعله يتجاوز الميتافيزيقا التي كانت تسيطر في العصور الأولى على العقل البشري، لكن في حقيقة الأمر أن في ثنايا هذه الأنساق العلمية تتضح مختلف الثغرات الميتافيزيقية التي لا زالت تتخلل هذه العلوم.

ومن خلال هذا فإن المنظور النيتشوي يشخص هذه المسألة كون النقد الذي حمله في جميع المجالات ومختلف الأصنام الأولى والمتمثلة في الدين والأخلاق وغيرها يبين أن الميتافيزيقا هي وثيقة الصلة بالعلم الحديث، وذلك في مختلف شذراته ويقول في كتابه "أصل الأخلاق وفصلها":((**هكذا يظل الاعتقاد الميتافيزيقي أساسا يستند إليه إيماننا بالعلم نحن أيضا بدورنا مفكرو هذه الأيام الذين يبحثون عن المعرفة، نحن الملحدون والمناوئين للميتافيزيقا نحن أيضا ندلي بدورنا في حمى هذا الوطيس الذي أشعله إيمان يعود إلى آلاف السنين**))[1].

بمعنى أن نيتشه يرى أن العلم ونتائجه تفرض علينا نفسها وتتغلغل داخل ذواتنا وتسيطر على عقولنا فالميتافيزيقا بدورها تبقى راسخة في أذهاننا وفي أنفسنا وفي تفكيرنا، وهذا ما يؤكده بقوله:((**إنها الاعتقاد الذي يكتفي به في الوقت الراهن من العلماء الماديين، الاعتقاد في عالم يفترض أن يكون له معادلة ومقياس في فكر الإنسان، وفي**

1- فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 146.

مفاهيم القيمة الإنسانية، الاعتقاد في عالم الحقيقة الذي قد يكون بالإمكان إدراكه بشكل نهائي بواسطة عقلنا الصغير ذي الأفق الضيّق))[1].

حيث يرى أن العلم ينطوي على جانب كبير من الميتافيزيقا والدليل على ذلك اعتقاد العلماء بوجود عالم آخر غير العالم الواقع الذي تتجلى فيه الحقيقة وهو ممكن الإدراك، كما تتجسد فيه مختلف النظريات العلمية ويطبق عليه قوانينه وبالتالي يتجاوز عالمنا الحقيقي إلى عالم وهمي يكون العلم قد قام بعملية تبديل بحيث أحل مكان العالم الميتافيزيقي، العالم كبناء علمي وكذلك الاعتقاد الراسخ في أن التأويل العلمي هو التأويل الوحيد الممكن وهو المخول الوحيد لمعرفة الحقيقة عن طريق العقل البشري الذي يعتقد أنه قائم على إدراك الكون[2].

ويضيف نيتشه في تشخيصه للبعد الميتافيزيقي داخل ثنايا العلم وداخل ثنايا العقل، أن العقل انطلق كتسوية أولوية للفكر وهو ما قدمه ديكارت في تصوره، حيث يقول نيتشه((**أما الاعتقاد بأنه يفكر في شيء، لا بد من شيء هو الذي يفكر ذلك الاعتقاد الذي جعل ديكارت يقول: أنا أفكر حيث يشعر بالتفكير فإنه ليس إلا تعبيرا عن الاستعمال النحوي الذي اعتدنا عليه والذي يضع لكل فعل فاعلا وباختصار فإننا سنكون إزاء افتراض سابق ذو صبغة منطقية ميتافيزيقية لا إزاء قضية مباشرة))**"[3].

يرى نيتشه أن ديكارت ارتكز على فرضية ميتافيزيقية في سبيل بناء منهجه الذي كان يهدف من خلاله لبلوغ الحقيقة، حيث أسس منهجه على الشك والافتراض، وبالتالي تسربت الميتافيزيقا داخله، فالعلم بالوجود ينحصر في تصور أولي قائم على الميتافيزيقا.

1-فريديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص 241.

2- الشابي نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص237.

3-نقلا عن: فؤاد زكريا: نيتشه، مرجع سابق، ص 74.

ويؤكد نيتشه في كتابه "إنسان مفرط في إنسانيته" قائلا: **((إن العلم يتخلل مضايق عديدة كون أنه لا بد أن يتحرر عنها كما تحرر العلم بدوره عن الفلسفة القديمة وهذه الأخيرة تسعى لتحقيق سعادة الإنسان بما هو غيبي لا بما هو موجود، لقد أدى تبني مفهوم السعادة إلى خنق البحث العلمي ولا يزال الأمر كذلك))**[1].

من المؤكد أن نيتشه في أول الأمر قد أعجب بالبحث العلمي كما تطرقنا في الفصل السابق، لكن هذا التطور الحاصل غالبا ما يتعثر في وسائط غير علمية كون تلك المضايق لا زالت تظهر وهذا الإعجاب قوبل بالرفض كون الأسس العلمية في الفترة الحديثة لم تستغني عن العنصر الميتافيزيقي للعلم، ويمكن أن نقول أن أول خطوة مارسها، كانت خطوة ميتافيزيقية وهي التصورات الغيبية والفرضيات وغيرها.

على هذا النحو يمكن القول أن العلم لم يخرج من الإطار الميتافيزيقي التقليدي وذلك انه ورث الحاجة الميتافيزيقية، بحث عن المسلمات الأنطولوجية التي ينبني عليها العلم وهي المسلمات الغيبية، أي الإيمان بوجود عالم وهو حقيقي وراء العالم الظاهر وهو ثابت غير متغير وواحد غير متعدد.

إن غاية العلم هي الحقيقة، وهو يعتقد في الحقيقة اعتقاداً مطلقا، أي أن في العالم قيمة ثابتة ولهذا السبب فالعلم لا يريد أن يسلم بالطابع الزمني والافتراضي لعمله ولا يرفض أن يرى اكتشافات خالدة[2].

ولذلك نلاحظ أن العلوم الحديثة ترفع من مفهوم الحقيقة إلى مرتبة المقدس وهي الغاية القصوى لكل بحث، والمطلق هو الحكم الذي يتبناه الفيزيائيون مثلا حيث إذ يعتقدون بطريقتهم بوجود عالم حقيقي وفي تنسيق للذرة التي تتجمع بضرب من الحركات الضرورية بطريقة ثابتة ومتشابهة لدى كل الكائنات ولكن فرضيات الذرات ما هي إلا

1- فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، ص 20.

2- الشابي نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 258.

نتيجة لمفهومي الذات والجوهر، وينتج من الاختزال مفهوم الروح، يقول نيتشه في هذا الصدد: **((لا يزال البعض في حاجة إلى الميتافيزيقا وحتى هاته الرغبة الحادة في اليقين التي تتفجر اليوم وسط الجماهير في شكل علمي وضعي، هاته الرغبة في إرادة امتلاك شيء قار، بشكل مطلق بينما حتى في إندفاع هاته الرغبة قلما ينشغل الناس بالحجج الصالحة لتأسيس اليقين))**[1].

ما نستنتجه من هذا القول أن اليقين الذي التمسه الباحث في الذرة وغيرها ما هي إلا رغبات ميتافيزيقية تحرك العلم الحديث وأن كل تفسيراته يجد أصولها في مشاعر الخوف والقلق والحاجة إلى الأمن فالعلم هنا يحمل دور لضرورة داخلية كامنة في ذات الإنسان.

ويواصل نيتشه نقده للعلم الحديث حيث انتقد الموضوعية التي طالما تغنى بها وتمسك بها هو ودعاته وهذا ما نلمسه في قوله: **((أحارب كل مغالطة علمية في إذعان الموضوعية لأن ما نجده لحد الآن وفي العصر الحالي من عصور العلم هو أن العلم إنساني إنساني جدا))**[2]، وما نستشفه من هذا القول هو أن نيتشه يرى أن العلم الحديث علم ذاتي بامتياز وأن الموضوعية التي يدعيها ما هي إلى وهم، وهي أكبر وهم ابتدع من أجل تبرير صحة نتائجه وحقائقه ويقينيتها المطلقة، واعتبر الذاتية التي اجتاحت العلم الحديث هي أساس ميتافيزيقي ضربت قواعده وتغلغلت فيه إلى حد كبير.

ب- الثغرات الميتافيزيقية للتفسير الميكانيكي للعالم

نشأت الحداثة الأوروبية من إبتداءاً القرن السابع عشر ميلادي تقريبا، ومرت بعدة مراحل، وكانت الحداثة معبرة في حقيقة الأمر عن ظهور نظرة جديدة إلى العالم مختلفة اختلافا جذريا عن النظرة الكلاسيكية القديمة التي سادت أوروبا منذ عصر

1-فريديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص ص 209، 210.

2- نقلا عن : الشابي نور الدين، نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 245.

أرسطو**Aristote** (384ق م، 324 ق م)حتى بداية ظهور العصر الحديث، وبشكل تدريجي وبفضل غاليلو Galilei (1564-1642) الذي من خلال اهتمامه بالكشف عن العلاقات التي تربط بين الظواهر والبحث عن المبادئ والأسباب الميتافيزيقية التي استحوذت على الفكر القديم، وبذلك أحدثت قطيعة ابستمولوجية بين الفكر الجديد والفكر القديم، ونتج عن ذلك أن تبلورت نظرة جديدة إلى العالم تسمى عادة بالنموذج الميكانيكي للعالم فهي خاضعة لقوانين نيوتنNewton (1642-1727) الميكانيكية.

وبما أن نيتشه بصدد تبيان الأعراض الميتافيزيقية للعلم الحديث، فهو لا يستبعد التفسير الميكانيكي للعالم، لذا نتساءل: ما التفسير الميكانيكي، في نظر نيتشه؟ وما آليات نقده وذلك بالمنظور الميتافيزيقي؟ والأهم مقوماته التنظيمية والإجرائية.

1-خصائص التفسير الميكانيكي حسب نيتشه:

أصبح العلم ميكانيكيا، نتيجة الدور الذي لعبه اكتشاف قوانين الحركة في العالم الجديد والتأكيد على ذلك الدور فقد أصبحنا في الحقيقة أمام علم لا تنفلت منه أيّة غشاوة سحرية، فلم يعد الأمر يتعلق سوى بكتل تتحرك حسب قوانين رياضية، كما أن النظرة الميكانيكية للواقع انتصرت[1].

أعلنت هذه الثورة عن قطيعة بين رؤيتين للعالم بإعلانها الجاذبية الكونية ، هكذا نمر من طبيعة يحكمها الإله إلى طبيعة تحكم ذاتها بذاتها،فيتحكم الإنسان عقلياًفي الطبيعة بتأويل ميكانيكي للعالم، وهذا ما تميزت به الحداثة العلمية بعد الاعتماد على مفاهيم "الحركة" و"المادة"، و"الشكل" و"القانون"، ولذا يعتبر نيتشه أن من بين تفسيرات العالم التي تم تجريبها إلى حد الآن، يبدو أن التفسير الميكانيكي أكثر التفاسير انتصاراً ويحتل المقام الأول، وأن الطبيعة حسب نيتشه لا تخرج عن هذا النطاق الميكانيكي ((**لا**

1- سالم يفوت: فلسفة العالم المعاصرة ومفهومها للواقع، دار الطليعة،بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 22.

يحسب أي علم أنه قادر على التقدم والنجاح بذاته من غير الاستعانة بالطرق الميكانيكية والكل يعرف هذه الطرق حيث يتحد فيها إقصاء "الدوافع" و"الغايات))[1].

إن اللحظة الديكارتية لها أهمية كبيرة في إقامة أسس للتفسير الميكانيكي إذ يقول ديكارت في كتابه "مقالة الطريقة" : **((إنه تبعاً لقواعد الميكانيكا التي هي ذاتها قوانين الطبيعة، عندما تنحو أشياء كثيرة معاً نحو والحركة في اتجاه واحد لا يسعها كلها مثلما تنحو أجزاء الدم التي تخرج من التجويفة اليسرى للقلب، نحو الدماغ...تبلغه بمردها))**[2].

فالفلسفة الديكارتية حاولت بتأثير من التحول العلمي الجديد أن تقييم تصورها الفلسفي للكون؛ انطلاقا من المعطيات العلمية الجديدة وبتأثير من الثورة الفيزيائية الغاليلية كما أنها تعرف بـ "المادة" ومن محمولاتها نجد "الحركة" و"الانقسام" و"الامتداد"، ولفكرة الامتداد عند ديكارت أهمية كبرى من الجانب الابستمولوجي، إنها الخاصية الجوهرية للمادة ذلك أن هذه الأخيرة تتحلل في الأخير إلى صفات هندسية هي الحجم والشكل والعدد والموقع وصفة ميكانيكية هي الحركة إذن فالعالم متحرك بحركة ميكانيكية وظواهره لا تقبل أي تفسير آخر غير هذا.

ويظهر هذا النموذج الميكانيكي في شكل "قوانين" التي تحكم الأجسام الفيزيائية كما أن هذا التفاعل هو الآخر يخضع لقانون "السببية"، وهذا ما أعلنه ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة.

هذه بصورة مختصرة جملة المفاهيم الأساسية التي قام عليها العلم الحديث والتي بنى الفكر العلمي عامة طيلة قرنين من الزمن بعد نيوتن، حيث لم تقبل كل النظريات والمفاهيم على أنها صحيحة، إن هذا المبدأ الأساسي الذي تلتقي عنده كل هذه المفاهيمهو الدعامة الأولى للتصور الكلاسيكي للكون والطبيعة.

1- نقلا عن: سالم يفوت، الفلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، مرجع سابق، ص 29.

2- رونيه ديكارت، حديث الطريقة، تر:عمر الشاذلي، دار المنظمة العربية للترجمة، بيروت،، ط1، 2008، ص307.

2-نقد مبادئ التفسير الميكانيكي:

يعرف نيتشه في كتابه "العلم المرح" التأويل الميكانيكي إذ يقول: **((تقصدون بطريقة اولية إجمالا؟ الذي لا يقبل غير العد، الحساب، الوزن، النظر، والفهم فهذا ليس إلا بلاهة وسذاجة حين لا يكون استلابا وقماءة، أليس محتملا جداً بالمقابل أن يكون ما هو سطحي وخارجي في الوجود إن تفسيراً "علميا" للعالم مثلما تقصدونه أنتم سيبقى بالتالي واحدا من بين أبلد التفسيرات أي واحد من أفقرها من حيث المعاني... لكن عالما أولياً بالأساس سيكون عالما عبثيا بالأساس))**[1].

وهكذا لم يكتف نيتشه إذن بإبراز أن التصور الميكانيكي للعالم أهم التأويلات الموجودة في الطبيعة، وأكثرها انتصار، بل إنه قام من جهة أخرى بنقد هذا التفسير واعتبره من أبلد تفسيرات العالم للعلم، لذا نقد أهم فروضه وبين البعد الميتافيزيقي لمفاهيمها الإجرائية (الحركة) ومفاهيمها التنظيمية (قانون وضرورة وسببية).

يتبع النقد النيتشوي ذلك الاعتقاد الذي نجده عند الفيزيائيين الذين يعتقدون أن الحقيقة تكون وراء الحواس وتكون وفق نظامية ثابتة من الذرات ومتساوية وهي أنظمة ميكانيكي تحرِّكها حركات ضرورية وفق قوانين مضبوطة غير أن نيتشه لم يجد في هذا العالم سوي أوهام فكل فرضيات الميكانيكا من مادة، وثقالة، وذرة، لا يمكن أن تشهد على وقائع، قائمة متعينة أو على وقائع ذاتها إنما هي وهم مبينة على دعامة سيكولوجية متغيرة[2]، بمعنى أن هذه المسلمات التي ينطلق منها العلم هي عبارة عن تكهنات غير يقينية لبناء تركيب علمي لأنه من غير الممكن أن ننطلق من مقدمة مجهولة للوصول الى نتيجة قائمة بذاتها وصحيحة وبالتالي علم بذاته يقيني .

1- فريديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص 241.

2- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 309.

3-نقد مفهوم الحركة:

يعد مفهوم الحركة كمقولة علمية من بين الدعائم الرئيسية التي قام عليها التفسير الميكانيكي على حد تعبير نيتشه إن الميكانيكا هي علم الحركة، هي عالم خيالي أساسه الوهم لأنه حيثما توجد الحركة يوجد ثمة شيء في ذاته.

نقطة الانطلاق في النقد النيتشوي هي مفهوم الحركة حيث يرى أنه خالي من المعنى مثله مثل الذرة على أساس أن العالم الميكانيكي بما هو علم الحركة هو عالم خيالي أساسه وهم حسي للعين بما أن في كل حركة ثمة شيء يتحرك يمكن التعبير عنه رياضيا لكن دون إدراك القوة الباطنية المماثلة في كل شيء يتحرك، وبالتالي تصوغ الميكانيكا تتاليات للظواهر في شكل علامات بفضل وسائل تعبيرية حسية ونفسية،والاعتقاد بأن كل أثر حركة، وأنه حيثما توجد حركة فثمة متحرك[1].

من خلال هذا التفسير نجد أن التفسير النيتشوي للحركة يكون بمختلف المتتاليات المزدوجة أي الجدلية في التصادم وقد أعطى جانب سيكولوجي للنفس الإنسانية أولا أي تفسير يعود نحو باطن الفرد، وقدم أيضا الجانب الحسي كون الحس لا يتوافق مع العمل الميتافيزيقي.

ويضيف أيضاًأن مفهوم الحركة قائم على تصيير الذرة جزء من العالم إلى ذرة دينامية وهذا تصيير سيكولوجي قائم على المبدأ العلي المنطقي وفعل الحركة قائم على النظر أي بحاسة العين وما هذه الأخيرة سوى قارئة للعالم والعالم مقروء بها إنه مؤول بها بمعنى أن القول بالحواس ما هي إلا عمل تكهني ميتافيزيقي لا يقوى على تفسير مختلف الظواهر المتدافعة في الكون[2].

1-الشابي نور الدين:نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 264.

2-محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 311.

ويؤكد أيضاً أن المفهوم المرتبط بالحركة وبالحواس ما هو إلا عبارة عن ضرورة متأصلة للغة العين كما ذكرناها.

وعلى هذا النحو استخلص نيتشه ثلاثة حقائق تخص التفسير الميكانيكي وهي :

أولا: الميكانيكا ماهي إلا سيوطيقا وما كانت يوماً وصفاً للواقع ،بمعنى أن هذه الرموز والعلامات مفارقة له وهي لا تقدم لنا الوصف الدقيق.

ثانيا: إن الميكانيكا هي نظرية الحركة فهي لا تعمل إلا على نقل ما تنظر فيه.

ثالثا: إن الميكانيكا تحول ألفاظ حسية إلى عبارة سميوطيقية وذلك عن طريق أدوات حسية ونفسية[1].

ويرى أن الذرة من فعل الحركة التي تحدث في "زمان" و"مكان" فهما منظوران "فالمكان" اعتقاد نافع فهو يسمح للإنسان أن يحتمي من فكرة العدم إذ حيثما قام الإيمان بالمكان فالعلم أيضاً قائم على الإيمان بالوجود الميتافيزيقي إذ لا وجود للزمان والمكان في ذاتيهما، وما الاعتقاد بأن لهما معنى بصرف النظر عن الإنسان والحيوان المدرك لهما إلا صبياني[2].

4- نقد مفهوم السببية:

يكمن مفهومها في أنها ذلك الاعتقاد بوجود علاقة سببية أو علية بين الأشياء، وفي تعريف عن "معجم صليبا"حيث يقول: **((أنالسبب هو العامل في وجود الشيء ويطلق على كل حالة نفسية، شعورية، كانت أو غير شعورية، تؤثر في حدوث الفعل الإرادي وهي قسمان: عقلي وانفعالي...فالسبب هو المبدأ الذي يفسر الشيء تفسيرا**

1-محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص ص 312-313.

2-المرجع نفسه، ص 311.

نظرياً وهو أيضا ما يتصل به غيره وهيالعلاقة بين المسبب والسبب فهي إحدى مبادئ العقل))[1].

ومن هذا التعريف فقد أشار نيتشه إلى خرافة مفهوم السببية "مفهوم العلية" ميثولوجية واعتبارات الاعتقاد في مبدأ العلية "بمثابة ضرب في الخرافة، ذلك أنها تقوم على افتراض "أني"، "أنا" الفاعل مميزة بذلك بين "الروح" و"فعلها" وبهذا يطفوا مفهوم الروح الميتافيزيقي القديم من جديد كما يطفوا معه مفهوم الإرادة الذي يضرب بجذوره في الميثولوجيا القديمة.

كما أن فكرة التتابع بين العلة والمعلول خاطئة لأنها مسألة نزاع وصراع بين عنصرين غير متساويين في القوة وهي مجرد ترتيب جديد للقوي يتم وفقا لمقياس القوة في كل منهما فالمعلول يختلف في طبيعته عن العلة تماما، والأمر الأساسي هو امتداد النزاع والصراع بدرجات مختلفة من القوة فالشعور بالقوة هو علة للشيء والاعتقاد في العلة هو الاعتقاد بالقوة وأثارها.

وهذا المنظور لا يمكن تصوره إلا من خلال إرادة القوة التي في مضمونها نتاج ميتافيزيقي[2].

ويضيف في قوله: **((لقد فهمت التمثيلات المتناسلة عن بعض ترتيبات اللحظة، خطأ على أنها العلة نفسها في الواقع))**[3]، فشعور الإنسان بالقلق والخطر حول كل ما هو غريب سيجعله يقدم تفسيرات خيالية.

ومن بين الانتقادات التي يقدمها نيتشه لمبدأ العلية، أنه لا يمكننا استنتاج العلاقة الضرورية بين العلة والمعلول باعتبار أن الحوادث متعاقبة كما يرجع مبدأ العلية إلى

1-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)،1982، ص ص648-649.

2- محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 311.

3-فريديريك نيتشه: أفول الأصنام، تر: حسان بورقيبة، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996،ص 49.

التصور الديني والأخلاقي وأنه يضرب بجذوره في التفكير الأولي البدائي الذي يقوم على التشبه بالإنسان، ومنه فالسببية فكرة زائفة لأنها مرتبطة بمفهوم القوة والإرادة والنفس[1].

وهذا ما فسره نيتشه في كتابه إرادة القوة عندما تتناول فكرةالسببية بحيث يرى أنالوعي يصل متأخراً عن النتيجة وهذا ما أعابه في الفعل السببي كونه حالة شعورية تأتي في موضع متأخر عن العملية أي أثر ذلك الشيء يظهر لاحقا في العالم الخارجي، يقول:((**إننا لا ندرك السببية والتسليم بأن هناك بين أفكارنا رابط مباشر وسببي يفعل المنطق، هو نتيجة ملاحظة بدائية وبليدة بين فكرتين تجد مختلف الأهواء التي تمرح على هواها**))[2].

5-نقد مفهوم القانون:

إن سفاهة مفهوم السببية تقودنا بالضرورة إلى تسفيه مبادئ أخرى في العلم بنيت عليها كما كان الشأن لمفهوم "القانون".

يرى نيتشه أن القانون لا وجود له ولاحت "الضرورة" التي تقر أن شيئا ما يحدث حدوثا منتظما وبفائدته يمكن التنبؤ لا يقيد بالضرورة، أن ثمة ضرورة وإنما هو تأويل الذات وتدخلها إلى قلب الوقائع فليس ثمة في الطبيعة سوى علاقات قوة تكمن ماهيتها في ممارستها ومقدورتها في كل القوى الأخرى وهذا ما هو إلا تصور ميتافيزيقي فالحياة إرادة قوة وإرادة تراكم القوة من هنا يدعو نيتشه إلى الاحتراس من استعمال لفظة "قانون" "لوصف الأشياء الطبيعية وذلك بسبب خلفيتها الميتافيزيقية.

إن العالم هو تدافع لا تعقيد وهو صراع لا ينضبط، من خلال هذا فإن العالم الخارجي الذي يمتاز بالحركة الدائمة والتدافع لا يمكن أن نصفه بالثبات كونه في صيرورة

1-محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، مرجع سابق، ص 37.

2- فريديريك نيتشه: إرادة القوة، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، د ط، 2011، ص 202.

متحركة دائما ومحاولة تقنينه ما هي إلا محاولة لتجميده والحال أنه كلما تذكرنا هذه الحقيقة على بساطتها المتسببة حتى تصير القوانين لا غنية وبمجرد أن نتصورها سيالة بدالة وحتى تلغي ومن خلال هذا نجد أن الأفراد هم معايير كل شيء في الطبيعة وما القانون إلا إضافة ولا تعني شيء في الحالة الطبيعية للإنسان[1].

ويضيف نيتشه في قوله: **((فإن عبارة تقيد بالقوانين تضفي صبغة أكثر إنسانية على لزومية الطبيعة وتجعل منها واحدة من آخر ملاذات الوهم الأسطوري))**[2].

من خلال هذا يرى نيتشه ويعتقد أن فكرة القوانين هي فكرة ميتافيزيقية غير واقعية وتجسد خيالا من خيالات الإنسان الميتافيزيقية.

وفكرة التقييد بالقوانين في نظر نيتشه هو وليد الإعجاب بالطبيعة وبانتظامها وهو أيضا إعجاب بأخلاقيات هذه الطبيعة في النظام التي تسير به ما يجعل "فكرة التقيد بالقوانين "فكرة ذاتية وليست موضوعية وهذا عكس ما ينادي به العلم الحر أو العلم الخالص.

إن التأويل الإنساني للطبيعة وجعلها منظومة قانونية داخل نظام "قوى كون الطبيعة ماهي إلا علاقات قوى أي وسائل صراع ومقاومة، وما محاولة الإنسان تنظيم الصلات بين القوى سوى تخليق لهذه القوى أي محاولة أن تنزل على الطبيعة معاييرنا الخلقية أولية القانون والعدالة والعقل والحكمة وهذه عادة إنسية فاسدة لذا، يدعو نيتشه إلى الاحتراس من أعمال لفظة القانون لوصف الأشياء الطبيعية وذلك لمختلف خلفياتها[3].

1-محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 115.

2-فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته،،ج2، تر: محمد الناجي، دار النشر إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001 ، ص 13.

3- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، المرجع نفسه، ص 315.

ويضيف نيتشه أنه لا وجود إذن للأشياء حتى تتحدث عن قوانين أو عن ضرورة إنما يتعلق الأمر دائما بكون قوة ويعرف كوانطوم القوة بالأثر الذي ينتجه ويقاومه إرادة تمارس ضرورياً من الاكراه ويقاوم أخرى بمعنى أن نيتشه يرى أن مفاهيم الضرورة والقوانين حسب أنصار التفسير الميكانيكي هي نتاج الذات والحواس وبالتالي هي عبارة عن أوهام وخيالات ويرى أنها تنتج من إرادة القوة[1].

يرى أيضا في كتاب العلم المرح حيث يقول: ((**لنحذر أن نعلن أن هناك قوانين في الطبيعة ليس هناك إلا حاجاته**))[2]، بمعنى أن نيتشه يرى أن القوانين ما هي إلا مجرد أوهام تخدم مصلحة وحاجاته صاحبها فالطبيعة حرة لا تتحكم فيها أيّة قوانين.

جـ- الثغرات الدينية والأخلاقية:

1-الثغرات الدينية (المثال الزهدي الكنسي):

إن العلاقة الباطنية بين العلم الحديث والميتافيزيقا قد توسعت دائرتها كونها لم تتلخص في مجالات معينة بل نجدها تتوسع أيضا بين العلم والدين حيث لعب هذا الأخير دور كبير في العصور الأولى كونه كان من أكبر العوامل التي سيطرت على العقل والعقل بدوره أعلن استقلاليته عنه.

فالفكر النيتشوي توجه بالنقد لهذه النقطة التي يرى فيها العلم استقلاليته عن الدين ولكن نيتشه يرى أن العلاقة لا تزال قائمة بينهما.

فالعلم الحديث لم ينقطع تماما عن الإيمان بالاعتقادات الأولية التي يمثلها الدين واعتقاده في "الحقيقة" هو في الأصل وليد اعتقاد ديني تاريخي في وجود قضايا مطلقة مثل وجود الله، وبما أن الله هو الحقيقة، فالحقيقة الوحيدة هي الحقيقة الإلهية.

1- الشابي نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 265.

2-فريديريك نيتشه: العلم المرح، مصر سابق، ص 122.

إن العلماء هم بدورهم أتقياء شأنهم في ذلك شأن رجال الدين لأن الاعتقاد بالحقيقة هو نفسه أي نفس الاعتقاد، الذي يؤمن به الزاهد في وجود إله.

حيث يقول نيتشه:((**هكذا يظلُّ الاعتقاد الميتافيزيقي أساسا يستند إليه إيماننا بالعلم، نحن أيضا بدورنا مفكرو هذه الأيام الذين يبحثون عن المعرفة، نحن الملحدون والمناوئون للميتافيزيقا، نحن أيضا نُدلي بِدَلوِنا في حمى هذا الوطيس الذي أشعله إيمانٌ يعود إلى عدّة آلاف من السنين**))[1].

فالإيمان حسب نيتشه قد ظلل الفكر في هذا العصر ويتجلى هذا في تبنيه للحقيقة المطلقة التي اقتبسها منه.

ويضيف نيتشه في قوله: ((**إن إرادة الحقيقة بالذات تحتاج إلى تبرير هذه ثغرة نجدها في جميع الفلسفات من أين تأتي هذه الثغرة ؟ تأتي من أن المثال الزهدي قد هيمن حتى الأن على جميع الفلسفات**))[2]، بمعنى أن العامل الديني قد تغلغل في مختلف الأجزاء العلمية .

العلم في جوهره يبني على اعتقاد إذ لا يوجد علم إطلاقا بدون افتراض، أي تلك المسلمات الأولية التي يستخدمها العلم وكما سبق وأن ذكرنا أن نيتشه كان يعتقد في أن هذه الأخيرة وهممن جهة، ومن جهة أخرى فالعلم أو العلماء يؤمنون أنهم يصلون إلى الحقيقة، وليس هناك شيء ضروري مثل الحقيقة وهذه الفرضيات كما كان اعتقاد ديكارت في مفاهيمه الرياضية التي ربطها بالدنيا وهذا في قوله: ((**لن يفوتني أن أذكر في دراستي الفيزيقية عدة مسائل ميتافيزيقية خاصة هذه الحقائق الرياضية تلك التي يعتبرونها أبدية قد أنشأها الله فهي متوقفة عليه توقُّفا كليا مثلها مثل سائر المخلوقات**

1-فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مرجع سابق، ص 146.

2-المرجع نفسه، ص 147

لافتقارها لهذه الحقائق))[1]، فحسب هذا القول فأصل المفاهيم الرياضية عند ديكارت مرتبطة بالحقيقة الدينية، فالله هو الضامن لهذه الحقائق وهو ما أطلق عليه نيتشه صفة الوهم.

ويضيف "نيتشه" بشأن هذه الحقيقة واعتقادنا للوصول إليها هو بلا شك اعتقاد فاسد:((**لقد شجعنا تطور العلوم خلال القرون الأخيرة جزئيا لأن معها وبها كنا نأمل حسن فهم طيبة وحكمة الإله هذا سبب رئيسي لخلق عظماء الانجليز (مثل نيوتن) جزئياً لأننا كنا نؤمن بالضرورة المطلقة للمعرفة ، (حيث لا وجود للإغراءات السيئة للإنسان على الإطلاق سبب أساسي لخُلق سبينوزا الذي باعتباره عالما كان يحس بنفسه ربانياً))**[2].

على أساس هذا القول يرى نيتشه أن العلم ما زال يؤمن بوجود شيء مطلق كما كانت تلك التفسيرات الأولى للميتافيزيقا بحد ذاتها اعتقاد ومنها إنها تتحرى الموضوعية التي ينشدها العلم والولوج نحو الطمأنينة.

لم يقتصر المثال الزهدي على الدين فقط فقد كانت له علاقة أيضاً بالعلم فهذه العلاقة التي لا تتصف بالتناظر يميل المرء لاعتباره بمثابة قوة التقدم التي تحكم التصور الداخلي لهذا المثال[3]، فالعلم يساند المثال الزهدي ويعمل على تقدمه وازدهاره وجعل من هذا الارتكاس قيمة مثلى يقوم على خدمتها لأن العلم وحده غير قادر على إنتاج أي قيمة لهذا فهو بحاجة للمثال الزهدي، هذه الحاجة عن كونها تسمع بالاستقلالية ومنحه أيضا الإيمان بذاته يقول في ذلك :((**فالعلم ما زال بعيد عن الاستقلالية التي تمكنه من**

1- نقلاً عن: نجيب بلدي، ديكارت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 2004، ص190.

2-فريديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص 76.

3-فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 147.

الاضطلاع بهذه المهمة إنهبحاجة هو نفسه إلى قيمة مثلى إلى قدرة مبدعة للمثل يقوم على خدمتها وتمنحه الإيمان بذاته)) [1].

إن اعتقادنا في الحقيقة عن كونها قيمة مطلقة ثابتة غير قابلة للنقد أو التشكيك، كان اعتقاد موضع شراكة بين العلم والمثال الزهدي.جعلهما حليفين حيث أن كل منهما، يبالغ في الإجلال في قيمة الحقيقة ومطلقياتها فكلاهما يتفقان في وجود حقيقة غير مشروطة.

ويضيف في هذا الصدد "**فالاثنان العلم والمثال الزهدي يضلان معا على نفس الأرضية كما سبق وأشرت إنهما يلتقيان على مبالغة مشتركة في قيمة الحقيقة وبشكل أَدَقٍّ على اعتقاد مشترك بأن الحقيقة لا يصح تقييمها ولا نقدها وهذا ما يجعل منهما بالضرورة حليفين**"[2].

إن تقديرنا للمثال الزهدي الذي هو محل تقديس الكاهن يقودنا، بالضرورة إلى تقديس العلم، فكلاهما قدم خدمات جليلة للإنسان فالمثال الزهدي هو قيمة مثلى عند رجل الدين؛ ورجل العلم ليس أقل منه.فقد استطاع أن يخرج الإنسان من دائرة القلق والخوف إلى الأمن واليقين يقول نيتشه((**إن سعى المرء إلى تقدير قيمة المثال الزهدي فإنه مسبوق بالضرورة إلى تقدير قيمة العلم))**[3].

فالعلم والدين كلاهما يقوم على المثال الزهدي حيث يقول نيتشه في ذلك: ((**وحتى من وجهة النظر الفيزيولوجية فإن العلم يقوم على نفس الأسس التي يقوم عليها المثال الزهدي فكلاهما يفترضان نوعا من إفقار الطاقة الحياتية))**[4].

1-فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 147.

2-المصدر نفسه، ص 148.

3-المصدر نفسه،ص 148.

4- المصدر نفسه، ص 148.

بمعنى أن المثال الزهدي والعلم إضافة عن كونهما يتفقان كما أشرنا سابقاً إلى وجود حقيقة غير مشروطة بمعنى مسلم بصحتها لا يتسرب إليها الشك ولا يصلها النقد، فهما أيضا يفترضان واقعا غير الواقع الموجود فالعلم إذن يقوم على نفس الأسس التي يقوم عليها الدين **((نفس الفتور في الأهواء والعواطف أمام نفس التباطؤ في المشية الجدلية تحل محل الغريزة والوقار يطبع بصماته على الوجه والحركات))**[1].

ويعتبر نيتشه أن علماء العصر الحديث هم فقراء العقول حيث يقول: **((هذا العلم الحديث حاولوا إذن أن تنظروا بإمعان هو حتى الآن خير عون للمثال الزهدي وذلك لأنه أكثر أعوانه لا وعيا، واكثرهم لا إرادة وأكثرهم تحقباً وتسترا لقد لعب حتى الآن نفس اللعبة: فقراء العقول))**[2]، فالعلم الحديث بادعائه المطلقية في نتائجه وخاصة النزعة العقلية وافتراضه عالما غير هذا العالم كل هذا في خدمة المثال الزهدي وترسيخ له وإرساء دعائمه وهذه نفس مقولات الزهدي والارتكاس وبالتالي فهُمَا لَعِبَا نفس اللعبة واستطاعا أن يسيطرا على العقول وتوجيهها كيفما يشاءان هذه اللعبة كانت في ظاهرها ما خدمة للإنسان وتحقيق رفاهيته وراحته، ولكن في باطنها هي سيطرة عليه وتسخيره لخدمة مصالح معينة وبالتالي وجهها الحقيقي كان خفياً يقول نيتشه: **((ألم يكن ميل الإنسان نحو تصغير نفسه، لم تكن إرادته للتهوين من شأن نفسه، في تقدم مستمر منذ اكتشاف كوبرينيكوس، أجل للأسف لقد تم ذلك على حساب إيمانه بكرامته، وبقيمته الفذة التي لا مثيل لها في سلطة الكائنات أصبح حيوان دون كناية ولا استعارة بلا شرط ولا تحفظ))**[3].

فالإنسان في العلم، الحديث حط من نفسه لما أعطى السلطة للعقل الذي عوضا من إعلاء شأن الإنسان عمل عكس ذلك، جعل منه عبد للعلم وللعقل ونفى جانباً مهماًمن

1- فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق ، ص 149.

2-المصدر نفسه، ص 149.

3-المصدر نفسه ، ص 149.

بنيته كإنسان ألا وهي غرائزه وعواطفه، وأصبحت الحياة منفية لا وجود لها بالرغم من أن الحياة هي التي أوجدت العلم، وكل العلوم اليوم تبذل جهدها وتوظف كل ما لديها **((في سبيل تعهد احتقار الإنسان لذاته، فتزين هذا الاحتقار، وهو ثمرة لجهود مضنية، وكأنه العنوان الأخير والنِّبراس الجِدِّي لاحترام الذات أو الحق أن الإنسان، في ذلك، على صواب إذ أن الذي يحتقر هو دائما إنسان لم ينس ما حفظته عن الاحترام))**[1].

بعد تفحصنا للمثال الزهدي داخل الأنساق والقضايا العلمية وتغلغله فيها في مختلف القضايا العلمية، ونجد كذاك المثال الزهدي داخل التفسيرات الفلسفية حيث نجد جملة من الثغرات الدينية، وكذلك بسبب اتساع أطرافها وتعدد جوانبها، فحسب نيتشه تغلغلت نحو ذهن الفيلسوف، رغم التعارض في بداية الأمر، والفلسفة ما تزال تحت تأثير الدين فالفلاسفة أعلو من سيادة الإله وأصبحت لاهوت مشوه والفيلسوف نصف كاهن.

يتعرض الفلاسفة بإملاق وسخرية الى اللاهوت، فالفيلسوف يخضع في العديد من الجوانب للتأملات الدينية هذا الأمر يؤكده نيتشه بقوله : **((بما أن الفلاسفة كانوا خاضعين في تأملاتهم للعادات الدينية التقليدية في كثير من الجوانب، أو على الأقل للهيمنة الوراثية –للحاجة الميتافيزيقية– الشهيرة))**[2].

أن الدين حسب نيتشه يسيطر على كامل نواحي الفكر بما فيها الفلسفية، حيث سيطر الجانب الوجداني الشاعري على تصوراتهم، حيث يقول : **((لكن الفلاسفة هؤلاء الخلاسين خاصة الفلاسفة المشعرنين والفنانين المتفلسفين قد اعتادوا أكثر أن يعتبروا وكل الأحاسيس التي يكتشفونها في أنفسهم جوهر أساسي في الإنسان وأن يدعو بذلك في مشاعرهم الدينية تؤثر بشكل كبير على النسيج الفكري لمناهجهم))**[3].

1– فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 150.

2–فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته،ج1، مصدر سابق، ص 75.

3– المصدر نفسه، ص 75.

فالغالب أن الفلاسفة ينطلقون في بناء مناهجهم من المشاعر التي تتولد فيهم كالمشاعر المتولدة من أثر الدين يرفع هؤلاء الفلاسفة من منزلة هذه الأحاسيس ثم يجعلونها جوهر أساسي في الإنسان بإقحامها في مناهجهم وجعلها سندهم في فكرهم.

ويؤكد نيتشه ارتباط الفلسفة بالدين أو بالمثال الزهدي الذي كان له صورة دفاعية للفلسفة على حد تعبيره، أنه كان العصب الذي جعلها تمتد إلى يومنا هذا:((**فالفحص التاريخي الجاد يكشف على أن الصلة القائمة بين المثال الزهدي والفلسفة أشد وأبقى بل يسع المرء أن يقول أن الفلسفة لم تتعلم كيف تخطو خطواتها الأولى خطواتها الصغيرة البسيطة على الأرض، إلا لأنها كانت مربوطة بهذا المثال ارتباط الطفل بالماسكة التي تحول عند تعلمه المشي**))[1].

لقد أعتبر نيتشه أن المثال الزهدي قد جعل من الفلسفة تمكث بفكرها طويلاً، لأنها أستقت من التعاليم الدينية دعامة لوجودها وبقائها وفي هذا يقول : ((**لقد ظل المثال الزهدي زمنا طويلا مستعملا من قبل الفيلسوف كمظهر خارجي كشرط للوجود، كان مضطر للتمثل هذا المثال حتى يتمكن من أن يكون فيلسوفا وكان مضطرا للإيمان به حتى يتكمن من تمثيله**))[2]، بمعنى أن الفيلسوف لا غنى له عن المثال الزهدي فمن خلاله وعبره فقط يقوم بتفسير الكون ولا يمكن أن يحلل مختلف التفاسير إلا بالدين.

2-الثغرات الأخلاقية:

إن النقد النتشوي قد امتد إلى بعد آخر من الأبعاد التي كان العلم يرتكز عليها وهي التقييمات الأخلاقية، التي لا زالت تحتك بالعلم والفلسفة، خاصة في كتابه إرادة القوة حيث أبرز العديد من النقاط التي يمارسها العلم داخل هذه التقييمات.

1-فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 109.

2-المصدر نفسه، ص 113.

هكذا فإن العلم الحديث يحمل داخل تفاسيره وأساسياته مختلف هذه الثغرات الأخلاقية التي تجعله هو بحد ذاته يحمل أسلوب أخلاقي سيكون حتماً نابع من الضمير. كون أن هذا الأخير له جزء كبير على الفرد، باعتباره قوة ارتكاسية تهيمن على الدين والأخلاق وتمكنه من انتصاره، يقول نيتشه في كتابه "أصل الأخلاق وفصلها": ((**العلم اليوم ملجأ لكل أنواع الأشياء والارتياب والندم وامتهان الذات وتعب الضمير إنه عين القلق الناجم عن فقدان المثال الزهدي**))[1].

من هنا يمكن القول أنه ما أتى به العلم الحديث من اكتشاف أدى إلى احتقار الإنسان والحط من شأنه ويتجلى ذلك في مختلف الاكتشافات مثل اكتشاف داروين "النظرية التطورية" التي أسقطت من هيبة الإنسان وهو ما يعبر عنه نيتشه "اهانة الذات" بمعنى الارتكاس نحو القيم السفلى، لا من أجل الإعلاء من قيمة الإنسان والفرد كونه سيد الطبيعة.

ويقر نيتشه في هذا الصدد: ((**قد بقيت رائحة أول مهد للحكم الأخلاقي وهي رائحة تغوي كثيرا عالقة بهذا الصنف كله كأنه لا تفارقه وهي سبب كون رجل العلم، يظهر لا إراديا بعض الارتياب بخصوص هذا الصنف وبخصوص جدية**))[2]، بمعنى أنه كلما أراد الفيلسوف أن يتخلص من هذه الأفعال والتفسيرات الأخلاقية باءت محاولته بالفشل.

وقد توسع الفكر النيتشوي في نظرته الجينيالوجية للمسألة الأخلاقية حيث توسعت تفسيراته النقدية للتقسيمات الأخلاقية: ف: ((**قد برهنت الكثير من الأمثلة على أن أخطاء الفلاسفة الكبار تنطلق كلها من تأويل خاطئ لبعض التصرفات... قيل عنها أنها نزيهة**

1-فريديريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق ، ص 143.

2- فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته،ج1، مصدر سابق، ص 41.

يُتَّخذ كقاعدة لإقامة أخلاق خاطئة وبذلك تنتهي ظلال هذا الشّبح الغامض بأن تخالط الفيزياء ومجمل أفكارنا عن العالم))[1].

بمعنى مجمل الأفعال الأخلاقية والتصرفات التي يقوم بها الفلاسفة والعلماء تنطلق من الذات الإنسانية وتجعلها خالصة ومعيارية، فهي بمثابة لجوء نحو الوهم الأخلاقي وهذه الأخيرة حتما ستكون يوماً ما سليلة نحو العلم.

وعلى هذا النحو يجدر الإشارة إلى أن القيم الأخلاقية التي فرضت نفسها هي لصيقة بكل علم على مر التاريخ بلا استثناء وهو افتراض نظام أخلاق يحكم العالم وينحني إلى مجال المعرفة بمختلف قيمه وهذه الثقة والموضوعية والنزاهة مثلا في مجال الفن كعلم ارتباطه بالطبيب وتعلق الأمر الذميم بالفاسد[2].

والعلم على العموم قد حصل مجموعة من المفاهيم منها اتباع الحق والصراحة، ومنها والموضوعية والحياد وهي أساس ما صار يعرف باسم لا يخلو من الإيحاءات الخلقية، والضمير العلمي وعلى هذا النحو يقول نيتشه: **((لقد توصلت إلى اقتناع مفادها أن ما من فلسفة إلا نثري وراءها نيات ومقاصد أخلاقية ومعنى هذا أن كل علم يظهر في العلم الحديث إلا وله قواعد لا بد أن تكون منضوية على أفعال وأحكام أخلاقية، مثلا ديكارت في نظرته للحقيقة العلمية هو بناء))** [3].

وإيمان بوجود إلاه أخلاقي صادق وضامن للحق فهو يبني إيمانه بالبحث عن الحقيقة واعتقاده فيها على مبدأ أخلاقي للأمر المتغير وهذا ما ذهب إليه أيضا سبينوزا[4].

1- فريديريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته،ج1، مصدر سابق، ص 41.

2- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص ص327-328.

3-نقلاً عن :محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه،المرجع نفسه ، ص ص 371-374.

4-المرجع نفسه، ص ص371-374.

ويؤكد مرة أخرى قائلا: **((زهد الروح، المعرفة للمعرفة، هذا آخر شرك تنصب الأخلاق به يقع المرء مرة أخرى فريستها))**"[1].

يرى نيتشه أن الأخلاق في ادعائها المعرفة من أجل المعرفة دون السعي وراء منفعة أو تحقيق مصلحة، هو نوع من أنواع الشرك والأوهام التي تنصبها الأخلاق للإنسان وتدخله مجال الزهد ذلك الرقي الروحي المتعالي على المصلحة.

1- فردريك نيتشه: ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 102.

الفصل الثالث :

في سبيل علم مرح

المباحث:

- العلم تجل لإرادة القوة
- أوهام لا حقائق العلم لإثبات الحياة
- دور الفلسفة والفن لقيام علم مرح

تمهيد:

من النتائج التي توصلنا إليها فيما سبق أن العلم الحديث بالمنظور النيتشوي يحمل طابعا ارتكاسيا منحطاً، لأنه استطاع إرساء دعائم تحط من قيمة الحياة، فالإرادة التي يتخفى وراءها ما هي إلا إرادة منحطة.

كما أن الجهاز المفاهيمي للعلم الحديث، والأسس التي بنيت عليه تتقنع وراء رغبات ميتافيزيقية ودينية، وأخلاقية، ومن الجلي أن العلم وهو يحارب الميتافيزيقا يظل كذلك ميتافيزيقياً، ويظل ورعاً وتقياً في محاربته للدين، وأيضاً في محاربته للأخلاق، فهو مثل الأخلاق، فهو مثل الرواقي الذي يظل وهو ينكر الحس يحن إليه من منظار آخر.

هكذا غدا العلم الحديث الذي ادعى أنه يرفض وجود عالم ميتافيزيقي، لا يقوم في الحقيقة إلا باستبدال العالم العلمي الذي وضعه نيوتن بهذا العالم الوهمي، إذا فلا فرق عند نيتشه بين العالم الميتافيزيقي وإوالية Mécanicité، العلماء التي أضحت العقيدة الأولى والأخيرة التي يبنى عليها الوجود كله.

لذا أراد نيتشه أن يبني جهازاً مفاهيمياً تجاوزياً بديلاً لأسس العلم الحديث، وهكذا أُستكشف مع نيشته مفاهيما اعتبرت جوهر المحطة البنائية من خلال الاهتمام بالفن وذلك لقراءة الوجود قراءة جديدة لاستعادة الثراء المفقود من خلال العلم الحديث.

المبحث الأول: العلم تجل لإرادة القوة

تؤكد جينيالوجيا نيتشه على أن العلم ماهو إلا محصلة نهائية للفكر الغربي الحديث قد استمد مبادئه وأسسه من مصادر هي نفسها التي شكلت دعامة التفكير الميتافيزيقي، فسطر أهدافا هي نفسها الأهداف التي سعت إليها مختلف الفلسفات الميتافيزيقية في سعيها لتشكيل العالم.

لكن نيشته أراد أن يؤسس العلم بعيدا عن الاعتبارات الميتافزيقية وذلك في حملته الترصدية لقيم الارتكاس والنفي، واستبدالها بقيم الإثبات والنفي والتأكيد بعيدا عن الميتافيزيقا، وذلك من أجل إعادة قراءة نص العالم قراءة جديدة مبنية على التعدد وبلا نهائية التأويلات، وذلك من شأنه أن يعبر العلم لا من خلال الميتافيزيقا والأخلاق والدين، وإنما تجعل أحكامه مقتصرة ومنظمة من طرف إرادة القوة[1].

كما يرى جيل دولوز أن إرادة القوة هي عامل تفسير وتقويم، ذلك لما تتمتع به من صفات مائعة، أولية تجعلها تفسر القيم وتقومها، وهذا التقييم باعتماد معيار خارج قيم الخير والشر، بل تستمد لها بمعيار الجسد أو الحياة.[2]

إذ أن العلم يفسر ويقوم من خلال إرادة القوة والعلم وليس باعتبارات ميتافيزيقية، فالمعرفة حسبه هي مظهر من مظاهر إرادة القوة، والعلم خاتم لها، بمعنى تتجلى بمقدار اعتماده على دافع القوة الموجود عند الإنسان الذي يسيطر على مجال معين من الواقع، فإرادة القوة إذن هي الكامنة وراء المقولات المنطقية من أجل السيطرة على العالم، لكن لماذا ظهرت الأفكار الكلية والمقولات التي تتخذ من الميتافيزيقا مأخذ لها؟

1- جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 71.

2- المرجع نفسه، ص 71.

يجيب نيتشه أن هذه الحقائق التي يعتبرها العلم كحقائق، ما هي إلا أوهام وأن كل غريزة تحاول أن تسيطر وتفرض قوتها على غرائز أخرى.

وبناء على هذا العلم تجل لإرادة القوة، يمكن أن تستخلص نتيجتين أساسيتين:

أ-لا يمكن فهم الواقع فها عقلياً:

يؤكد نيتشه أن إرادة القوة باعتبارها عاملاًمن منظورهيعبر عن عالم الأشياء بوصفها بناء تفسيرياً يدحض في الوقت نفسه مواقف القائلين بإمكانية فهم عقلي للواقع لأن التصريح به يلغي المنظورية والتعددية، والتي تعد -حسب نيتشه- من خصائص إرادة القوة، إذ تظهر كتعددية قادرة على أخذ كل الأشكال.

لذا فالمعرفة ليست مجرد شرح لمعان موجودة في الواقع بل هي إضفاء معان على الواقع وهذا المعنى حسب القوة التي تسيطر عليه وتوجهه لكي يكون بهذا المعنى.

وبهذا فالنسق الفكري كله عملية تفسير وهي شيء نكونه، وليست عملية عقلية، وهنا يجب تجاوز العقل الذي قامت عليه الميتافيزيقا التقليدية إلى فهم الحياة بما هي إرادة القوة والتخلي عن الفهم العقلي للواقع.

إذ يوجد حسب نيتشه- عقل عظيم غير العقل، وهو أكثر حكمه منه، وهو العظيم الحقيقي إذ يقول: **((أنا وأنت فخور بهذه الكلمة، بل هناك ما هو أعظم منها وهو ترفض تصديقه ألا وهو جسدك وعقلك العظيم))**[1]، فحقيقة الإنسان عند نيتشه ليست عقلا فقط بل جسد أيضاً، هو الذي يفعل ويتجسد عبر إبداعاته المختلفة، وهو الذي سكن وراء كل سلوك يقوم به الإنسان.

1- نقلا عن سمير الزغبي: نيتشه الفن والوهم وإبداع الحياة، ، دار التنوير، لبنان،ط1، 2009، ص 94.

إذ تكشف لنا الجينيالوجيا عن المعنى الحقيقي للحياة بعيداً عن إمكانية فهم الواقع فهما عقليا لأنه يتنافى مع الحياة،والصيرورةوتعددية تأويلاتها، إن كل شيء متوقف على إرادة القوة.

ب-استحالة قيام نظرية في المعرفة:

بما أنه لا يمكن فهم الواقع فهما عقليا، لذا يستحيل بناء نظرية في المعرفة بالمفهوم الكلاسيكي وجعلها كبراديغم نهائي لا ينازع، لأن طبيعة العالم بمثابة نص يحوز على قدرات فائقة للمراوغة، فهي دائماً في حالة سيلان مستمر.

هكذا تفقد أدوات المعرفة مصداقيتها لأن أغلبها قائم على الميتافيزيقيا فهي التي تحركهمن جانب آخر، لا يمكن قيامها حيث تعود إلى التعدد وجريان الصيرورة والاختلاف، إذ يقول يسري إبراهيم: ((**أن محاولة قيام نظرية في المعرفة هي ببساطة موضع احتقار نيشته**))[1].

ويقول نيتشه في هذا الصدد: ((**أن فلسفة مختزلة إلى نظرية للمعرفة وما هي في الواقع إلا مجرد إيبوخية**))[2].

من هذا المنطلق، يقدم نيتشه تفسيراً جديداً للوجود كتجاوز للتفسير الميتافيزيقي للعلم، ولكن على أساس مغاير، قائم على إرادة القوة، الأمر الذي يجعله كما يقول "كارل ياسبرز" واحد من الميتافزيقيين الذين يفهمون الكون ككل من خلال إرادة القوة.

لذا فلا حاجة لنا لإقامة نظرية في المعرفة، لكن ألا يعتبر رأي نيتشه هذا في المعرفة نظرية فيها؟ يجيب كارل ياسبيرز بالنفي وذلك لأن رأي نيتشه في استحالة قيام

1- يسري إبراهيم: فلسفة الأخلاق فريدريك نيتشه، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 242.

2-فريدريك نيتشه: ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص158.

نظرية في المعرفة هو محاولة منه لفصل وعينا بالوجود عن أي اعتقاد إما ميتافيزيقي، أو ديني، أو أخلاقي، وهو محاولة لمد أفقنا إلى ما لانهاية للتغلب على أي إثبات نهائي للوجود، ولإثبات أن ما هو ظاهر هو الواقعي والحقيقي[1].

جـ-إرادة القوة ومجالاتها:

يؤكد نيتشه في أغلب مؤلفاته أن إرادة القوة هي الجوهر الذي يسكن العالم في كل مظاهره ويتناول في مؤلفه إرادة القوة هذا المفهوم بعناية أكبر ليصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الظاهرة، الواقعة الأخيرة التي ينحل إليها كل تحليل إذ تمس مجموع الظواهر في العالم، فهي ليست معنى مطلقا بل متعدد ديناميكي يتجلى في المعرفة وفي الطبيعة مثلما نجده في المجتمع والفرد والفن.

1-إرادة القوة في المعرفة:

ترتبط إرادة القوة بمجال المعرفة وتصبح مشروطة بها عن طريق حدس ينجم عن انفتاح الصيرورة وعلى الحياة البنائية والهادمة على إرادة القوة[2]، ولا يجب أن يتبادر إلى ذهننا أو نفهم أن إرادة المعرفة هي غريزة قوة وسيطرة، إنما هي مشروطة.

لذا يرى نيتشه أن مقياس الرغبة في المعرفة يعتمد على المقياس الذي يزيد فيه بناء إرادة القوة في نوع من الأنواع[3]، بمعنى أنه كلما زادت إرادة القوة كانت رغبتنا في المعرفة أقوى.

تسهل إرادة القوة للتفكير تناول الموجود، ومنه كان لزاما علينا أن نهتم بإرادة القوة من جهة ما هي معرفة، فهي كما يشير هايدغر(1889-1976) Martin

1- يسري إبراهيم: فلسفة الأخلاق فريدريك نيتشه، مرجع سابق، ص 242.

2-أويغن فنك: فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص 194.

3- نقلا عن صفاء عبد السلام علي جعفر،:محاولة جديد ة لقراءة فريدريك نيتشه، مرجع سابق، ص 294.

Heidgegger، خاصية أساسية لكل موجود الذي نجده ضمن المعرفة بصفة عامة كما تندرج تحته مجموعة من أشكال الموجود في الفن والعلم والتاريخ، والتي هي في الواقع إرادة الاقتدار نفسها[1].

فالإنسان هو الذي يقوم بفرض أشكال على العالم بواسطة إرادة القوة عبر ما يتوافق ومنظوره فبناء المعرفة إذاً ليس هو العالم الخارجي.

يوائم المفكر بين الموجود وفكره بواسطة مفاهيم، والتي ستمكنه من إيقاف جريان الصيرورة وتجميد الواقع وتبديله تبديلاً كاذباً[2].

تسعى المعرفة إلى تحقيق الكثير من الأهداف منها السيطرة على الواقع وتحقيق السيادة عليه، والحفاظ على الحياة، ومن أجل ضمان تحقيق هذه الأهداف اعتمدت المعرفة على القوة كأداة لها لتسيطر على مجال معين فاستغلال الإمكانيات والقوى التي تحتويها الحياة، سيجعل منها تربة خصبة وعظيمة.

تعتبر المعرفة في نظر نيتشه أساس كل تقويم وهي تتجه دائما إلى السيطرة على الأشياء وإخضاعها **((وكل أعضاء المعرفة والحس لدينا تتطور من أجل إيجاد ظروف الحياة وإنمائها فحسب))**[3].

أما عن المعرفة المأساوية فإنها في المنظور النيتشوي الوحيدة التي تخترق أشكال القوة وتبصر الحياة على أنها قوة فاعلة وتتحول إلى نقد لأي نوع من أنواع المعرفة.[4]

1- فوزية ضيف الله: كلمات نيتشه الأساسية ضمن القراءة الهيدغرية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص 119.
2-أويغن فنك:نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 194.
3-عبد الرحمن بدوي: نيشه، مرجع سابق، ص 232.
4-أويغن فنك: نيتشه والفلسفة، المرجع نفسه، ص 295.

إرادة القوة في المعرفة هي أيضا أنطولوجيا الشيء السالبة التي تعبر عن نظرية "المعرفة الإيهامية" والتي تتخذ من إرادة القوة ملكة عارفة ومزورة، وترى أنه ليس هناك من أشياء وشك في حقيقتها بوجه عام[1].

يؤكد نيتشه أن المعرفة ما هي إلا تزوير للواقع وتبديل للصيرورة وأن الأشياء هي التي تحول دون معرفتنا للعالم، فرفض مقولات ووضع في المقابل تصورا جديدا يحمل فيه الموجود الصيرورة وبذلك يصبح طبع الصيرورة بخاتم الوجود مثلا لأعلى درجات القوة.[2]

وبما أن الإنسان لا يستطيع العيش في الصيرورة الخالصة والمحضة كان لزاما عليه أن يزور الواقع، فالتزوير ضرورة بيولوجية، والحياة موجودة في عالم يتحرك فيه كل شيء لذا تقوم بخلق مفاهيم ومقولات تثبت الصيرورة المدركة وتجعلها مدركة[3].

إذن فمعرفة العالم الخارجي ليست اكتشاف للحقيقة توجد في ذاتها كما رسمتها الميتافيزيقا، وإنما ستصبح مستقلة عن الكائن العارف.

بل إرادة القوة يمارسها الإنسان العارف بخلق وفرض أشكال معينة على الواقع من خلال أدوات المعرفة، وذلك للحفاظ على الحياة.

2-إرادة القوة في الطبيعة كقانون طبيعي:

يرى نيتشه أن الحياة هي كثرة من القوى، وهدفها هو تحقيق أقصى قدر من الشعور بالقوة ومنه فالحياة هي إرادة قوة.

1-صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، المرجع سابق، ص 295.

2-أويغن فنك:نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 199.

3- صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، المرجع سابق ، ص 296.

والقوة هي الوسيلة التي ستعتمدها الحياة في تفسيرها لمختلف نشاطاتها والقانون الذي سيحكمنا هو إرادة القوة.

أراد نيتشه أن يطبق هذا المبدأ على العالم ككل، فالقوانين العلمية في نظره هي محاولة اختزال للطبيعة في مفاهيم عقلية منطقية كما تعبر هذه القوانين عن علاقة بين قوتين أو أكثر.

لذا يتهم نيتشه الفيزيائيين في العصر الحديث بتسويتهم للطبيعة بواسطة تأويل خاطئ للأحداث، فهم يؤمنون بعالم الحقيقة حيث يشكلون نظام ثابت لكل الكائنات، وهذا ما تسعى إليه الميتافيزيقا برسم عالم نقي خالص ومثالي.

كما اعتبر التأويل الميكانيكي للطبيعة خاطئ، لأنه لم يقدر على إدراك ما هو أساسي في الحياة كما هو إرادة قوة لذا يقول في هذا الصدد متحدثا عن الديمقراطية الماكروكوسمية: **((لا تؤاخذوني لأنني وأنا فيلولوجي عنيف...لكن قانونية الطبيعة التي تتحدثون عنها بكل فخر... لا تقوم إلا بفعل تأويلكم وراء تكهم في الفيلولوجيا فهي ليست بواقعة ولا بنص، بل بالأحرى مجرد تدبير إنساني ساذج وقلب للمعاني بهما تراعون فصل الديمقراطية للنفس الحديثة))**[1].

ويتهجم نيتشه ساخراً على الفيزيائيين بمساواتهم أمام القانون والطبيعة، إذ هذه الفكرة يختبئ وراءها عداء سوقي.

إن النظرة الباطنية للعالم تكشف لنا عن وجود ثورة في كل نقطة من نقاط العالم وهذه الإرادة الوحيدة الملازمة لكل حدث هي إرادة القوة.[2]

1–فريدريك نيتشه: ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 158

2–بيير مونتبيليو: نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 120.

فهي التي تفسر وتعرف الحدود، وتحدد الدرجات فنسيج العالم إذن مكون بالأصل من مكامن القوة أو مقادير قوة عالم فظ قاس بلا مبدأ، ولا نظام أو قانون خاصيته الوحيدة هي كون مجموعة فيه تقوى الآخرين.

المبحث الثاني: أوهام لا حقائق العلم لإثبات الحياة

إن عدمية العلم –حسب نيتشه– باقترانه بالميتافزيقا الذي هو المبدأ الكامن من وراء تبخيس الحياة واحتقارها، باعتبارها شيء يجب العداء نحوه بشتى الوسائل، وهكذا أصبح العلم شيئا فشيئا شاذا يعرقل بل أكثر من ذلك أجوف خال من كل موضوعيةوجدية وغير مهم.

مما جعل العلم مثلما يؤكده نيتشه في أكثر من موضع يؤسس لحقائق تحط من قيمتها فهي تعبر عن حياة ارتكاسية، تنحني وراء الميتافيزيقا والدين والأخلاق.

فالعلم بحقائقه يفصل الحياة مبدئيا واصفاً إياها في إطار ضيق فبدلا من أن يؤكدها ويثبتها كان لا بد عليه من تغيير مسار الفكر العلمي الحديث من فكر ينفي الحياة إلى فكر يثبتها يعني بالحواس والظاهر، وذلك إلى وجهة جديدة من التعبير عن اللعب والإبداع.

ويؤكد نيتشه أن الأمر الوحيد الذي يكفل مثل هذه المهمة إنما هو تجاوز مفهوم الحقائق التي يتبناها العلم باعتباره أوهاما لذا يركزعلى أهمية الوهم، ففي المرحلة السابقة كان الفكر يتغنى بالحقيقية وهي بلوغ اليقين العلمي الذي هو عبارة عن قانون يصل إليه العلم ولا يمكن أن يتغير أي ثابت لكن المفهوم النيتشوي يرتكز على أهمية الوهم بوصفه تعبيرا عن الحقيقة ذاتها كما من شأنه اختزال مسافة الهوة بين الإنسان والعالم وبالتالي الحياة فهو سند موضوعي يحمي الإنسان من الحقيقة القاتلة، إذ يقول : ((إن الحقيقة تقتل))[1].

1- Friedrich Nietzsche, le livre de philosophie, Trad Angele Kremer, marietti, paris, sigma, edition, p139 .

لكن كثيرا ما اعتبرت الفلسفات مفهوم الوهم مرادفاً للظن والخطأ أو اللامعقول وهذه المعاني تحيل كلها إلى معنى سلبي حيث تتم مقارنتها بمفاهيم أخرى، تبدو أكثر إيجابية على المستوى الوجودي وعلى المستوى المعرفي.

أولى التنزيلات لمفهوم الوهم التنزيل الأفلاطوني ويطلق عليه التنزيل الأنطولوجي حيث جسده كمشروع في رسمه لدياليكتيك المعرفة واعتبر المعرفة وهمية، لذا فتصور أفلاطون لمفهوم الوهم يحمل دلالة سلبية باعتباره درجة سفلى من مستوى المعرفة[1].

على هذا النحو من التنزيلات أيضاً عند فلاسفة الحداثة أو العصر الحديث اتخذوا وجهة جديدة ذات طابع ابتسمولوجي إذ نجد عند ديكارت هذا التفسير حيث طبعه هذا الأخير بالسلبية (الوهم) لأنه يعبر عنى روح اللاوثوق بمقارنته مع العقل.

ومن بين التفسيرات العلمية التي شهدتها الفلسفة الحديثة هي التفسيرات الكانطية للعلم كما لاحظناها سالفا كونه نقد العقل الخالص حيث أثار في حديثه بتمييزه بين الظاهرة l'apparence والظاهرة le phénomène إذ يتحدد في مستوى الظاهرة معنى الوهم بنوعية المنظور (يتصل بالتجربة) ويخضع بملكة التخيل والترنسندتالية، خارج عن حدود التجربة، بالإضافة إلى الوهم المنطقي المتعالي ففسره معظمها بكونها ناتجة عن الاستعمال غير السليم للقواعد لذا فالوهم عند كانط ينزل منزلة الخطأ[2].

1-التجاوز النيشوي من مفهوم الحقيقة إلى مفهوم الوهم:

يرى نيتشه في مؤلفه -أصل الأخلاق وفصلها- **((أن الحقيقة طرحت دوما بوصفها خطأ، بوصفها إلها، بوصفها نصبا وأن الحقيقة لا يجب أن تواجه إلا بوصفها**

1- سمير الزغبي: الفن والوهم وإبداع الحياة، مرجع سابق، ص 29.

2-المرجع نفسه، ص 33.

مشكلة))[1]، فهي ليست سوى استعارة ابتكرهاالفكر باحثاً عن كل السبل لبلوغ المراتب سواء في العلم أو في جميع فروع المعرفة.

والعالم الذي ينزلق فيه كل شيء ويمضي، يؤدي إلى ابتداع مفاهيم ومقولات لتدخل شيئا من الاستفزاز والتغير، إلا أن هذه الحقائق في واقع الأمر ليست سوى أنسنة للظواهر، ولا تتسم بالموضوعية.

فما هي إلا أوهام ناتجة عن إسقاطات نفسية داخلية التي يتوهمها في نفسه فيطلق صراحها لتنقض على العالم الخارجي، فيتساءل نيتشه:**((ما معنى الحقيقة؟ تعددية متحركة من الاستعارات والكيانات والأنتروبومورفية باختصار حصيلة العلاقات الإنسانية.رفعت ونمت وبعد زمن نسي أنها كذلك))**[2].

إذن الوجود يعبر مع نيتشه عن أوهام وكل شيء تم اعتباره سابقا حقيقة وليست شيء آخر سوى وهم، فالمظاهر المختلفة من الوجود والحياة لا يمكن للعقل أن يستوعبها لذلك يرىأن الإنسان في حاجة إلى أوهام بدل الحقيقة وذلك من أجل إنعاش الحياة.

فما يميز التنزيل النيتشوي للوهم من هذا المنطلق أنه تنزيل إيجابي يدشن به عصر نهاية الحقيقة التي لا طالما سعت الميتافيزيقيا إلى تكرسيها من خلال العلم.

من هنا تتجلى ضرورة اعتبار حقائق العلم أوهاما لينقل مسار العلم من علم يقصي الحياة إلى علم يثبتها بعلم مرح حيث تتلازم النشوة والفرح بعدما حلت عليه لعنة الحقيقة واعتبرت الوهم أدني الدرجات في سلم الوجود لكن مع الجينيالوجيا النيتشوية يقصى مفهوم الحقيقة من القاموس لأنه عامل يحدث الهوة بين العلم والحياة.

1-. سمير الزغبي: الفن والوهم وإبداع الحياة، مرجع سابق، ص 33.

2-Friedrich Nietzsche:le livre de philosophie, opcit , p 123.

فالوهم إذن حسب المفاهيم التي استنتجها نيتشه في فلسفته الهدامة عبارة عن مصدر للخصوبة والثراء إذ يفتح ضمنه الأفق الرحب للحياة وتمارس فيه كل طقوس لكي يكون بهذه الطريقة في خدمة الحياة.

ونستنتج أن الحقيقة عند نيتشه ليست تلك التي ينادي بها العلم والتي تفرض على العالم الظاهر مختلف قوانينها، إنما الحقيقة عنده وهم فالوهم هو الذي يعطي للعلم وللحياة تلك الحيوية الفعالة في نمو تلك المعارف، بمختلف تصوراته وأن تكون الحقيقة وهما في مفهوم نيتشه هو أن تكون أمرا متخيلا غير واقعي فالحقيقة التي ينادي بها هؤلاء هي تلك التي لا تسمح بتكثيف الحياة بل تؤدي إلى هدمها أي لا يمكن أن تكون قيمة تتبني عليها الحياة بل لا قيمة لها بهذا يصرح نيتشه بأن الفن له قيمة أكثر من الحقيقة وهذا ما سنراه لاحقاً.

المبحث الثالث: دور الفلسفة والفن لقيام علم مرح

أ-دور الفلسفة في ترشيد العلم:

إن نيتشه لا يرفض العقل الذي كان بمثابة الدعامة الأساسية للعلم الحديث من جانب، وكذلك أن العلم مبني على دعامة ميتافيزيقية من جانب آخر بل إنه يدعو إلى التحكم فيه فلسفيا إذ أن الأمر لا يتعلق بهدم العلم بل التحكم فيه لأنه من خلال موقفه هذا نتساءل: لما الفلسفة بالضبط هي الكفيلة بالتحكم في العلم وتحدد له القيمة؟ وأية فلسفة يقصدها نيتشه للقيام بهذه المهمة؟

ويعترفني مؤلفه "ما وراء الخير والشر": **((أنه حان الأوان لتبديل الرتب بين الفلسفة والعلم فبعدما كانت الفلسفة هي المشرعة الوحيدة والمقيمة للأشياء انقلبت المعادلة حينما تمكن العلم من النجاة ببراعة من الميتافيزيقا الذي ظل خادما لها لفترة طويلة))**[1]،فالعلم الحديث أصبح اليوم كما يؤكده نيتشه يطمح بكل بصره وحمقه أن يكون مشرعاً للفلسفة ليلعب دور السيد أو دور الفيسلوف.

فالعلم الحديث بهذه الرؤية قد وجه ضربة قاسية للفلسفة أي:

1-أن العلم لا يرى في الفلسفة سوى أنساق دُحِضت، فهي لا تجدي نفعًا.

2-أنه بازدهار العلم أصبح يتباهى بضمير مرتاح، في حين ما انحطت إليه الفلسفة شيئا فشيئا أدى إلى احتقار العلم لبعض الفلاسفة ليكون احتقار للفلسفة بشكل عام.

وبهذا اغتصب العلم عرش الفلسفة بشكل عام لذلك يتساءل: كيف للعدمي- يقصد به العلم الحديث- أن يشرع وأن ينشئ ؟ فيجيب نيتشه على الفلسفة أن تسيطر على العلم

1- فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 24-25.

لأنه غدى خطر على الحياة، وشكل من أشكال العدمية المدمرة لذا يفترضالعمل مكافحة هذا الداء لأنه يجلي من غريزة المعرفة على حساب غريزة الحياة.

السبيل الوحيد لذلك ليس بهدم العلم رغم قيامه على الميتافيزيقيا والأصنام الأخرى بل ترشيده وتحكيمه بالفلسفة وإيجاد فلاسفة جدد فلاسفة المستقبل لمهام جديد تتجاوز التصور الذي ساد.

إن العصر الحديث يفتقر إلى نوع من أمثال هيراقليطس Héraclitse حوالي(540-480 ق م) وأمبادقليدس Empédocbe حوالي (490-435 ق م)، فما يوجد حسبه سوى فلاسفة وفلسفة تثير الارتياب والضجر.

بهذا يضع نيتشه تصورا جديداً للفلسفة والحياة، فالفلسفة الجديدة هي القادرة على خلق القيم وقيم العلم ذاته، فلسفة ترد المعرفة إلى مجراها الحقيقي يجعلها عنصراً وثيق الارتباط بالحياة وتجعل من العلم بمناهجه وروحه النقدية قيمة أكبر، إذا ما استخدمت الحواس، هذا هو الطريق الذي يرسمه الفيلسوف للعلم، ولأنه إذا انفصلت الفلسفة عن العلم يصبح العلم في عالم الرموز تسيرهم حياة فقيرة تغلب عليها غرائز المعرفة القاتلة للحياة، لذا يؤكد نيتشه أنه لا توجد فلسفة في جانب متميزة عن العلم وهنا تتضح مهمة الفيلسوف الجديد.

من هنا يرفض نيتشه من العلم:

1-نتائجه البربرية ونزعاته النافية للحياة التي تجعل من العالم سجين مجال ضيق ومجال الأهداف العملية [1].

1- الشابي نور الدين : نيتشه ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص 269.

2-رفض العلم الذي يخدم الميتافيزيقيا والأخلاق والدين لأنه كلما سما العلم عن المثل الكبرى كلما أثبتت الحياة.

إذا تحكم الفيلسوف في غريزة المعرفة واعتبر حقائق العلم أوهاماً ضرورية ونافعة لإثبات الحياة فكيف يتقبل الفيلسوف تلك الأوهام؟ يجيب نيتشه بقوله: **((لو لم نستحسن الفنون ولم نبدع هذا النوع من عبادة اللاحقيقي فلن نستطيع إطلاقا تحمل الملكة التي يمنحنا إياها العلم ملكة فهم الروح الكونية لا حقيقة وللكذب فهم الهذيان والخطأ باعتبارهما شرطين للوجود العارف والحساس))**[1].

ب-الفن المرح لقيام علم مرح:

يخلص نيتشه إلى نتيجة مفادها أن العلم هو حصيلة مجموعة من الأخطاء والأوهام تولدت بشكل تدريجي وورثناها في زمن القرن التاسع عشر، لكن حسبه أبجدية الجينيالوجيا لا تعترف بالحقائق ولا بالأقنعة ولا باللغة الميتافيزيقية إذا تحدثنا على ضرورة اختراعنا مثل هذه المظاهر وهذا يؤكده في مؤلفه إنسان مفرط في إنسانيته إذ يرى:**((أن العلم الدقيق لا يستطيع أن يخلصنا من عالم التمثل هذا إلا في نطاق محدود وليس ذلك بالشيء المرغوب نظرا لكونه عاجز عن تحقيق المطلوب أي تحطيم قوة العادات))**.[2]

يؤكد نيتشه أنه "بإمكان العلم أن يعلو بنا على عالم التماثل لكن هذا لن يكون إلا عن طريق الفن ويشير إليه بلفظه "الضحكة الساخرة" إذ يقول: **((يستطيع العلم وبشكل متزايد أن ينير تاريخ نشأة العلم كتمثل وأن يرفعها ولو لبعض لحظات فوق تسلسل**

1-فريدريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص 119.

2-فريدريك نيتشه: إنسان مفرط في إنسانية،ج1، مصدر سابق، ص 26.

أحداثه... إن الواقع المطلق يستحق ضحكة ساخرة والضحكة الساخرة هي التي تمكننا من تحمل أخطاء وأوهام العلم))[1].

لذا فإن ترويض العلم عن طريق الفلسفة يكون بواسطة الفن، فالإنسان الذي يتجاوب مع الفن حسب نيتشه تزداد عنده قوة الملاحظة ويستطيع تفسير الحياة وهذا ما نلمسه في قوله: **((وهكذا فإن الإنسان الذي يستجيب إلى المنبهات الفنية يتصرف تجاه الواقع الرؤيوي كما يتصرف الفيلسوف تجاه الواقع الوجودي هذا الإنسان دقيق الملاحظة ويستمتع بما يلاحظه))**[2].

إن الفن حسب نيتشه يعمل على تبصير متذوقه والمتجاوب معه ويحمل كذلك على زيادة ملاحظته للواقع وزيادة المتعة التي يشعر بها الملاحظ للفن ويشبهالمتذوق بالفيلسوف الوجودي وكيفية إدراكه وملاحظته وتعامله مع الواقع، كما يعمل الفن على تفسير الحياة بل الإعداد لها وهذا ما يؤكدهبقوله: **((وذلك لأنه يفسر الحياة من خلال هذه الصور، ويعد نفسه للحياد من خلال هذه العمليات وهي ليست صور محببة ولطبقة فقط تلك التي يختبرها، هو يمثل هذا الفهم الشامل بل بالقيود الطارئة والجدية والكتيبة والمخزنة والعميقة وبدهاء المصادقة وبالتوقعات المخفية وباختصارها هو يختبرها بكل ما في الحياة من كوميديا إلاهية))**[3].

بمعنى أن نيتشه يعتبر الفن وسيلة لتفسير الحياة من خلال جملة الصور الفنيةالتي تعمل على تهيئة الإنسان لخوض الحياة بكل جوانبها حتى تلك الجوانب التي يكون فيها الإنسان كئيبا وحزينا ويشعر بالألم لأن الفن ببساطة يختبر الحياة بكل كوميديتها.

1- نقلا: عن محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 666.

2- فريدريك نيتشه: مولد التراجيديا، تر شاهر حسين عبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2008، ص 81.

3-المصدر نفسه، ص ص 81-82.

ويرى من ناحية أخرى أن العلم يجب أن يسلك طريق الفن من خلال الاعتراف بالأخطاء بوصفها بعدا من أبعاد الحياة وهذا ما يصرح به نيتشه بقوله : ((**لو لم تستحسن الفنون ونبدع هذا النوع من عبادة اللاحقيقي فلن نستطيع إطلاقا تحمل الملكة التي يمنحنا إياها العلم ملكة فهم الروح الكونية للحقيقة وللكذب فهم الهذيان والخطأ باعتبارهما شرطين للوجود العارف والحساس**))[1]، أي أن الفن يساهم في ترويض العلم من خلال تحطيم ذلك العالم اللاحقيقي الذي أسسه العلم وتلك الحقائق المطلقة ويساهم الفن في فهمنا للواقع الحقيقي.

وفهم الكذب والخطأ اللذين أنكرهما العلم لحساب الحقيقة.

فالفن حسبه هو فهم الواقع الظاهر الماثل أمامنا وليس متعلقا بذلك العالم الوهمي الذي أبدعه وافترضه العلم وهذا ما نجده جليا في قوله: ((**الفن باعتباره موافقة للظاهر إننا لا نمنع دائما نظرنا من أن يحدد وينهى ما تتخيله وآنئذ ليس النقص الأبدي هو ما نحمل ما وراء نهر الصيرورة لكننا نعتقد أننا نحمل إلهة ونظهر أنفسنا فخورين وطفوليين بإسدائناهاته الخدمة لها، باعتبار الوجود ظاهرة جمالية فإنه دائما ممكن التحمل لدينا وبموجب الفن فإن العين واليد وقبل كل شيء راحة الضمير قد وهبت لنا كي نستطيع أن نتحول إلى مثل هذه الظاهرة**))[2].

من الملاحظ من هذا النص أن الفن يختص بما هو ظاهر ومماثل أمام أنظارنا ولا يرتبط بالعالم الوهمي الذي رسمه العلم لنفسه، فالوجود عنده ما هو إلا عبارة عن ظاهرة جمالية فنية وما دام بهذا الوصف فإنه قابل للإدراك والتجمل بحيث يكون الوعي بالخطأ هو مصدر الجمال ويرىأن العلم يجب أن يعمل على مساندة الفن وذلك لجعلنا نتحمل

1- فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص119.

2-المصدر نفسه، ص 117.

الحياة عبر وعيه بأن حقائقه أوهام ضرورية، ويرى أن حقائق العلم أخطاء ضرورية للحياة.

وما يمكن الإشارة إليه أن الاعتقاد النيتشوي يرى أننا بأمس الحاجة إلى إبداع فن يسمى بالمرح يضمن لنا حريتنا ويمنعنا من العودة إلى الأخلاق، والسقوط في فخها وهذا ما يعبر عنه نيتشه بقوله: **((نحن في حاجة إلى كل فن مرح طاف، راقص، ساخر طفولي وجدّي حتى لا نفقد أي شيء من هاته الحرية التي تعلو على الأشياء التي تنتظر منا نحن أن نكون مثلنا الأعلى، ستكون انتكاسة لنا أن نسقط كلية في الأخلاق بفعل نزاهتنا النزقة ذاتها وبتلبية مطالب مفرطة فإننا ننتهي بأن مسوخاً وفزاعات فضيلة يجب أن نكون قادرين كذلك على البقاء ما فوق الأخلاق))**[1].

ما يمكن استنتاجه من هذا القول أن هذا الفن المرح النيتشوي كفيل بأن يضمن لنا البقاء متعالين على الأشياء التي نرى أنها المثل الأعلى على غرار العلم وحقائقه كما يكفل لنا البقاء بعيدين على الأخلاق، بحيث لا نسقط ضحيتها ولا في فخها وهذا بالكف عن ادعاء النزاهة والكف كذلك عن تلبية تلك المطالب المفرطة لأنها تجعل منا مجرد مسوخ وتحط من إنسانيتنا، ويعتقدأنه يمكننا أن نتعلم من الفن أو من الفنانين أكثر من غيرهملأنهم يسعون دائما إلى الابتكار من أجل تجاوز العقبات وفي هذا الصدد يقول: **((لكن قد نتعلم أكثر من الفنانين الذين يرمون باستمرار إلى ابتكارات متشابهة وإلى تغلب مشابه على العقبات أن نبتعد عن الأشياء إلى الحد الذي تمحى فيه كثير من جزئيتها أن ندقق النظر إليها كثيرا لكي نراها مرة أخرى))**[2].

1- فردريك نيتشه: العلم المرح، مصدر سابق، ص 119.

2-المصدر نفسه، ص 177.

فالفنانين من خلال أعمالهم الفنية يبتعدون عن الأشياء حتى تضمحل بعض عناصرها كما يعملون على التدقيق في الأشياء من خلال نظرهم الثاقب لكشف خباياها وعناصرها أو نراها من زاوية خاصة.

ولكن نيتشه يعترف أنه رغم تعلمنا من الفنانين إلا أنه في مسألة الحكمة قد نكون أحكم منهم وهذا ما نجده في قوله نيتشه: ((**هذا كل ما سيكون علينا أن نتكلمه من الفنانين مع احتمال أن تكون أحكم منهم فيما يخص الباقي لأن هاته الحقيقة تنتهي لديهم عادة حيث ينتهي الفن وتبدأ الحياة غير أنه فيما يخصنا نحن لنكف شعراء حياتنا في أدق التفاصيل وفي أكثرها تفاهة قبل كل شيء**))[1].

أي أن نيتشه يرى أنه يجب أن نتعلم من الفنانين ما يتعلق بالفن فقط أي بمجالهم ولكن فيما يتعلق بالحياة قد نكون نحن أحكم منهم، ويرى نيتشه أنه يجب أن نعبر عن حياتنا باللغة الشعرية بوصفها أصدق معبر عن ما يجول في خواطرنا وأدق تفاصيل حياتنا.

جـ- الفن المرح:

يدعو نيتشه في فلسفته إلى نوع خاص من الفن يكون عونا للعلم ويخلصه من غرائز المعرفة ومن الثغرات الميتافيزيقية لكن هذا الفن لا يمكن أن يكون بالفن الحديث ولا بالفن الفاجنري إنما بالفن الديونيزي الذي يبحث عن الحياة في ما لها دون أن تنفي ما هو قاس وفظيع إذ يقول: ((**إنه لمن الضروري أن نروح عن أنفسنا من حين إلى آخر لصالح الفن الذي يمكننا من تأمل أنفسنا من أعلى وأن نضحك علاوة على ذلك من**

1-فرديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر السابق، ص 177.

أنفسنا أو نبكي علينا وأن نكشف البطل وكذلك والبهلوان اللذين يختبئان في شغفنا للمعرفة...نحن في حاجة إلى كل فن مرح طاف راقص ساخر سافر طفولي وجدي)).[1]

الفن المرح هو الفن الكفيل الذي يمكننا من تحمل هذيان العلم، وبثقته المفرطة في نظام العقل وكراهيته لجمال الحياة والصيرورة إذ يخلص الوجود من القراءات العقلانية، ومن شوائب الأصنام التقليدية لإعادة الاعتبار للطاهر وبالتالي فالفن المرح (الديونيزيسي) مثلما يرى جيل دولوز:

-**فن حفاز لإرادة القوة:** تصور نيتشه الفن تصورا تراجيديا، فالفن مثير للإرادة ومنشط لها إذ يفضح كل تصور ارتكاسي للفن باعتباره لا يشفي ولا يهدي إلى تطهير أو تصعيد أخلاقي مثلما يفهمه أرسطو[2].

-**الفن أعلى قوة للزائف:** إن الفن بهذا المنظور أسمى قوة للوهم إذ يحمل الفن على اختراع أكاذيب ترفع الزائف الوهم إلى مرتبة القوى الإثباتية العليا[3].

إذن فالفن المرح يتجاوز بمعناه المنطقي والعقلاني والميتافيزيقي الذي يقع فيه الذهن البشري إلى فكرة أكثر شفافية، مرتبطة بفهم الوجود و "العالم كلعب"* وليس بفهم الوجود كظاهرة ميتافيزيقية ولا أخلاقية ودينية.

يؤكد نيتشه أن العالم يلعب الأطفال والفنان الذي يبدع فقط اللذة والصيرورة الخالصة دون تأسيس أي تفسير سببي أو مبدأ من خلاله ينظم الكون، وإنما ليس إلا لعبا جميلا بريئا، وبهذا الفن المرح يدخل الاعتبار ويجدد الحياة ويثبت صيروريتها.

1-فرديريك نيتشه: العلم المرح، مصدر السابق، ص 119.

2- جيل دلوز :نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 130.

3-المرجع نفسه، ص ص131-132.

*-**العالم كلعب:** هذه الفكر وجد نيتشه صداها ضمن تفكير هيراقليطس الذي يرى الحياة بريئة وعادلة بصورة جدرية.

وعلى هذا الأساس فالملمح الجوهري للثقافة الجديدة التي يتطلع إليها نيتشه إنما هي الإبداع والعفوية أو الفن إلى وجود لاعب راقص في أفضل صورها، إن ما يطالب به نيتشه((**إنما هو ثقافة يستبعد فيها الديونيزوس المفوق، منذ اليونان الكلاسيكية البولونية والسقراطية**))[1]، وذلك لإحلال أولوية الجمال للوجود بدلا من القراءة العقلانية.

من هذا المنطلق فالعلم باعتباره وجها من وجوه المعرفة فإذا استبعدنا عن الفن المرح فإنه يظل علما عدميا لارتكازه على الميتافيزيقا والأصنام الأخرى لأنه لا يمكن إثبات الحياة وصيرورتها وأيضا لا يمكن أن يفسر الوجود الذي يتسم بصبغة جمالية ووجوده مأسوي وفرح.

إذن فحقيقة العلم المرح حقيقة تهرب من التفاسير الميتافيزيقية ومن التفسير الواحدي إلى تفسير لا نهائي من هذه الحقيقة اعتبر نيتشه أن العلم الحديث بما يحمله من ثغرات مناقض للعلم المرح الذي يعبر عن إرادة القوة لإثبات الحياة لكن هل حان العصر الذي يسود فيه العلم المرح؟

يجيب نيتشه: ((**لن يكون هناك علم آخر باستثناء العلم المرح غير أن الأمر في الآونة الراهنة بخلاف ذلك تماما فكوميديا الوجود لم تع ذاتهابعد، ونحن لم نزل في عصر التراجيديا في عصر الأخلاقيات والديانات**))[2]، ونجد هذا في كتابه "العلم المرح" قائلا:

ريح المسترال طاردة السحاب،

موت الغم طهارة السماء،

1- بيير هيبرسوفرين: زرادشت نيتشه، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص 93.

2- فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص 51.

لنرقص إذن بألف طريقة،

لنسم فننا حرا ،

لنسم علمنا– مرحاً [1].

1– ، فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص ص 263–264.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا وتحليلينا لموضوع" الأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث عند نيتشه"، حاولنا أن نتوصل إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في :

- أن نيتشه أطل على العلم الحديث من زاوية ميتافيزيقية بصفة خاصة، وبنافذة نقدية، بصفة عامة إذ نظر إليه كأعراض للانحطاط أوالوهن ونماذج تريد أن تؤكد ذاتها وتثبت وجودها.

- إن ما يروم النقد الجنيالوجي إلى تبيانه هو أن العلم الحديث حين يدعى الجدة والتحرر من الميتافيزيقا والأصنام الأخرى فادعائه هذا باطل لأنه على النقيض من ذلك تماما فهي أعراض تمارس حضورها القوي في العلم هذا ما تستحضره الفلسفة النيتشوية الكاشفة عنها بمطرقتها الهدامة.

- وما يمكن التسليم به أيضاً أن العلم الحديث قد توسعت دائرته العلمية تحت دعامات أخلاقية وثغرات دينية فنيتشه قد أعلن أن الفكر الديني لم ينفصل عن العلم وظل الاعتقاد الميتافيزقي يضفي أفكاره على العلم مثل الإيمان بالحقيقة والإيمان بالمطلق كما كان الفكر الديني سالفا يؤمن بهذه الفكرة.

- سعي نيتشه لتبيان الأساس الميتافيزيقي الذي يتغذى به العلم الحديث من أجل تجاوز أسس العلم بغية إيجاد فرص إمكانات جديدة للحياة.

- صك نيتشه عملات جديدة لتكوين مقومات مرشدة للعلم، مبنية على أهمية الوهم والخطأ، باعتبارهما شروط لازمة للوجود وذلك في إيجاد منبع إستيطقي جمالي للوجود كبديل للوجود القائم في العلم الحديث.

- إن المشروع النيشوي يتسم بطابع نقدي واضح وصريح، ويعتبر تبيانه للأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث كمفهوم كرسه لفهم النموذج الارتكاسي الملم بالفكر الغربي برمته، وكيف استطاعت هذه القواعد أن تنتصر على القوى الفاعلة وكيف أن ظاهرة الانحطاط بها جميع القيم التي يحملها العصر الذي عاشه؟

وبالرغم من ذلك فإننا يمكن أن نأخذ على نيتشه تبيانه للأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث ول بعض المآخذ التي نوجزها فيما يلي:

- إن الموقف المتناقض لنيتشه حول العلم، وذلك باعترافه بفوائد العلم من جانب، وثغراته الميتافيزيقية من جانب آخر، هذا ما يؤكد الموقف المزدوج بشأن نقده للعلم ولجميع القضايا التي طرحها خلال مسيرته الفكرية.

- إن الإقرار بالوهم يؤدي إلى إغفال العقل وآلياته من مبادئ وعليه فنظرة نيتشه هذه يستحيل فيها التعامل مع الطبيعة من دون مرجعيات ومفاهيم عقلية.

- نتساءل كيف يكون الفن من طريقة مخالفة تماماً عن فعالية العلم حيث يكون عوناً له؟ وكأن نيتشه غرق فيما هو نيتشوي وهو الحال أيضا لمفهوم إرادة القوة فهي أيضا لم تخرج من كهن الميتافيزيقا الذي يدعى تجاورها من جانب، كما أنها تستطيع أن تتحول إلى الهيمنة والرغبة في السيطرة فيكون هاجسها ليس هو الخلق والإبداع وإنما السعي وراء الاستحواذ والقوة وهو حال العلم المرح الذي يدعوا إليه نيتشه.

- لكن رغم هذه الانتقادات والمحاججات، تعتبر فلسفة نيتشه بوابة أتاحت للتفكير الفلسفي انطلاقة محفزة للتطلع إلى أفق جديدة تسمح بمعالجة الإشكالات الفلسفية بطرق مختلفة مما مكن له إيجاد التربة التي أنبتت ما يعرف اليوم بتيار ما بعد الحداثة.

- تمثل فلسفة نيتشه في نظر الكثير من الباحثين المعاصرين "فجر ما بعد الحداثة الفلسفية" وذلك راجع إلى ما حققه من زحزحة جذرية للسؤال الفلسفي حيث نقله من المستوى الماهوي الميتافيزيقي إلى المستوى القيمي والحياتي، وإعتمد نيتشه في ذلك بهذه الآليات الجديدة في قراءة الخطابات ومحاولة تأويل النصوص وفق منهجه الجينيالوجي.

- وعلى الرغم مما قدمه نيتشه إلا أنه وكسائر الفلاسفة وجهت له العديد من الانتقادات التي كشفت عن ثغرات وقع فيها.

- إن من بين الذين تعمقوا في فلسفه نيتشه نجد "هايدغر" الذي يرى أن فلسفته لا تخرج عن الخط الفكري الذي رسمته الميتافيزيقا عبر مختلف مراحل تطورها، فنيتشه لا يزال بالنسبة إلى "هايدغر" أسير للميتافيزيقا بمقدار ما يتم كلياً نزعتها الأساسية بصورة محددة ويسوق "هايدغر" تفسيره تبعاً لإرادة القوة على وجه الخصوص، فقد بلغت ميتافيزيقا العصور الحديثة في رأي "هايدغر" نهايتها مع نيتشه، الذي أعمل فيها الفكر حتى بلغ بها نتائجها الأخيرة.

- وعليه فبالرغم من نقد نيتشه للميتافيزيقا، إلا أنه لا يزال في منظور القراءة الهيدغرية ينتمي إليها ويندرج ضمن إشكاليتها فهو كما يقول "أويغن فنك" ظل أسير الميتافيزيقا حتى في المجال الذي يشيد فيه بانتصاره عليها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

قائمة المصادر:

1) فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق و فصلها، حسن قبيس، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،ط2، 1984.

2) فريدريك نيتشه ، العلم المرح، ترجمة حسن بورقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1993.

3) فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام، تر حسن بورقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996.

4) فريدريك نيتشه ، إنسان مفرط إنسانيته، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، ج2، 2001.

5) فريدريك نيتشه ، إنسان مفرط إنسانيته، تر: محمد الناجي، دار النشر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د ط، ج1، 2002.

6) فريدريك نيتشه ، هذا الإنسان، علي مصباح، دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 2008.

7) فريدريك نيتشه ، مولد التراجيديا، تر ساهر حسين عبيد، دار الحوار للنشر و التوزيع اللاذقية، سوريا، ط1، 2008.

8) فريدريك نيتشه ، غسق الأوثان، تر علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

9) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير و الشر، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، د ط، د ت.

المصادر باللغة الأجنبية:

1) Nietzsch Friedrich,le livre de philosophi, trad, Angele Kreme, Mirietti, Signa-edition.

قائمة المراجع:

1) إبراهيم يسري، فلسفة الأخلاق فريدريك نيتشه، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2005.

2) أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د ط، 2011.

3) أويغن فنك، فلسفة نيتشه، تر إلياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد، د ط، 1974.

4) برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1977.

5) بيار ماشيري ، كونت الفلسفة والعلوم، تر سامي أدهم الموسوعة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط1، 1944.

6) بيير مونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

7) بيير هيبرسوفرين، زرادشت نيتشه، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، د ط، 1994.

8) جان غرانييه، نيتشه، تر علي بوملحم ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

9) جمال مفرج ، نيتشه الفيلسوف الثائر، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2003.

10) جيل دولوز ، نيتشه و الفلسفة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

11) رونيه ديكارت ، تأملات ميتافيزقية في الفلسفة الأولى، تر كمال الحاج، منشورات عويدات، ط1، 1998.

12) رونيه ديكارت ، مقال في المنهج، تر: محمود الخضري، الهيئة الصمرية العامة للكتاب، ط3، 1985.

13) رونيه ديكارت، حديث في الطريقة، تر: عمر الشاذلي، دار المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.

14) زواوي بغورة، الفلسفة واللغة(نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005).

15) سالم يفوت، فلسفة العالم المعاصر و مفهومها للواقع، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د ط، 1986.

16) سمير الزغبي ، الفن و الوهم و إبداع الحياة، ط1، دار التنوير، لبنان،ط1، 2009.

17) الشريف (زروخي)، العقلانية و التنوير في الفكر العربي المعاصر قراءة في مشروع ناصف نصار، دار المكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2013.

18) صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه فريديريك، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999.

19) صلاح عثمان ، الداروينية و الإنسان، نظرية التطور من العلم إلى العولمة، دار المعارف، الاسكندرية، د ط، 2001.

20) عبد الرحمان بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت، ط5، 1975

21) عبد السلام بنعبد العالي ، الميتافيزيقا، العلم والإيديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1993.

22) فؤاد زكريا، ، نيتشه، دار المعارف، مصر، ط2، 1966.

23) فوزية ضيف الله ، كلمات نيتشه الأساسية، ضمن القراءة الهيدغرية لنيتشه، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015.

24) فيرنر هايزنبرغ ، الفيزياء و الفلسفة ثورة في العلم الحديث، تر خالد قطب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014.

25) لورانس جيم ، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د ط، 2004.

26) محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2007.

27) محمد أندلسي نيتشه، وسياسة الفلسفة، دار توبقال للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

28) محمود زيدان، كانط وفلسفته النظرية، دار المعارف، القاهرة، دط، 1979.

29) نجيب بلدي، ديكارت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 2004.

30) نورالدين الشابي ، نيتشه ونقد الحداثة، القيروان، دار المعارف للنشر و التوزيع، القيروان، دط، 2005.

31) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982.

المراجع باللغة الأجنبية (الفرنسية):

1) Alain Touraine, critique de la modernité, Paris, Fayard,1992.

2) Charl Murin, Nietzsche, problème généalogie d'une penses, les presse de l'université de Monteréal, 1979.

3) Gianni Vattimo, l'introduction a Nietzsche,Tard ,Fabienne zanusi ,Paris, 1991.

الموسوعات و المعاجم:

1) إليارد ديفيد ، موسوعة الاكتشافات العلمية، تر خالد العامري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، 2009.

2)جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج 1، د ط، 1992.

فهرس الموضوعات

المواضيع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
مقدمة	**أ-جـ**
الفصل الاول : منطلقات نيتشه العلمية في الفلسفة الحديثة	**4-32**
تمهيد	**05**
المبحث الأول: دوافع اهتمام نيتشه بالعلم	**06**
أ-العلم مفخرة العقل الحداثي	**06**
ب-العلم والفكر الفلسفي الحداثي	**07**
جـ-العلم في عصر نيتشه	**15**
المبحث الثاني: قيمة العلم عند نيتشه	**20**
أ-من ميتافيزيقا الفنان الى الفكر الناقد	**20**
ب- إعجاب نيتشه بالمنهج العلمي	**24**
جـ- الفكر الحر كسيكولوجية هدامة	**28**
الفصل الثاني: عدمية الفكر الحديث عند نيتشه	**33-70**
المبحث الأول: المنهج الجينيالوجي عند نيتشه	**35**
أ-النقد بما هو تأويل	**36**
ب-النقد بما هو تقويم	**41**
المبحث الثاني: العلم والارادة المنحطة	**44**
المبحث الثالث:الأعراض الميتافيزيقية للعلم الحديث بالمنظور النيتشوي	**49**
أ-العلم الحديث والميتافيزيقا	**49**
ب - العلم والثغرات الدينية	**61**
ج- الثغرات الأخلاقية	**67**

الفصل الثالث: نحو علم مرح	**94-70**
المبحث الأول: العلم تجل للارادة القوة	**73**
أ-لا يمكن فهم الواقع فهماً عقلياً	**74**
ب-إستحالة قيام نظرية في المعرفة	**75**
جـ-إرادة القوة ومجالاتها	**76**
المبحث الثاني: أوهام لا حقائق العلم للإثبات الحياة	**81**
أ-التجاوز النيتشوي من مفهوم الحقيقة الى مفهوم الوهم	**82**
المبحث الثالث: دور الفلسفة في قيام علم مرح	**85**
أ-دور الفلسفة في قيام علم مرح	**85**
ب-الفن المرح لقيام علم مرح	**87**
جـ- الفن المرح	**91**
خاتمة	**96**
قائمة المصادر المراجع	**100**
فهرس الموضوعات	**105**

عشاف جامعة "محمد بوضياف"بالمسيلة لرسائل .ماستر على شكل word

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : الفلسفة

رقم التسلسل :.....

رقم الستجيل :1333059148 1333058075

الطالب(ة) : بابور يوسف بوعيسى سلمى

تاريخ المناقشة : 20جوان 2018

عنوان الرسالة :الأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث عند نيتشة

لغة الرسالة : اللغة العربية

نوع الرسالة : ماستر

الجامعة :جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

إشراف الأستاذ: مجكدود ربيعة

عدد الصفحات 107 ورقة.

ملف إلكتروني * .PDF * word . في .CD

التخصص: فلسفة عامة

الملخص :

بالعربية

تمحورت الدراسة حول موضوع الأساس الميتافيزيقي للعلم الحديث عند نيتشة للإجابة عن هذه الإشكالية هل استطاع العلم الحديث أن يلج بالإنسانية عهد السعادة والمقدرة كما يدعي وذلك بقطع الصلة مع الموروث الميتافزيقي ؟ أم ماهو إلا تجل لعهد جديد من عهود الإنحطاط والعدمية ؟ ومن هذا المنطلق حاولنا معلرفة الإستراتيجية التي اعتمدها نيتشة في تبيانه للأساس الميتافيزيقي الذي تتغلل داخل العلم الحديث والبدائل التي قدمها لتجاوز هذه الأسس.

الكلمات المفتاحية : العلم الحديث الميتافيزيقا الجينيالوجيا العلم المرح الوهم الفن

جاء هذا البحث في فصول:

تناول:

الفصل الأول: منطلقات نيتشة العلمية في الفلسفة الحديثة

الفصل الثاني: عدمية العلم الحديث

الفصل الثالث : في سبيل علم مرح

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحث :

إن نظرة نيتشة للعلم الحديث كانت على زاويتين نقدية بصفة عامة ، وميتافزيقية بصفة خاصة

توسعات العلم الحديث كانت تحت دعامة أخلاقية وثغرات دينية

حاول نيتشة تجاوز الأساس الميتافيزيقي بإيجاد إمكانيات جديدة للحياة

ركز نيتشة على الوهم والخطأ باعتبارهما شروط لازمة للوجود وذلك بإيجاد منبع استطيقي للوجود كبديل للوجود القائم في العلم الحديث